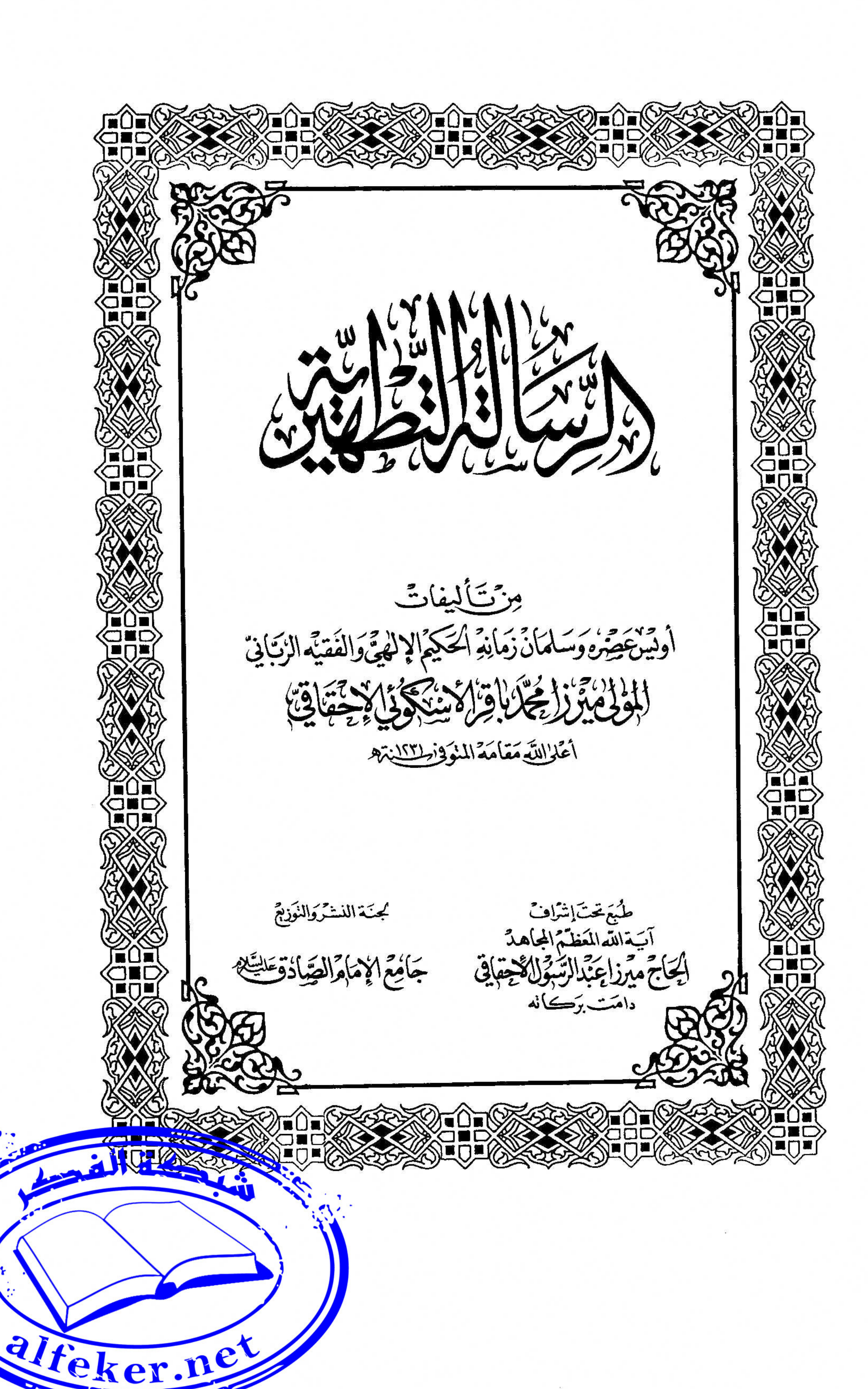

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
الرسالة الطهرانية
من تأليفات
أويس عصره وسلمان زمانه الحكيم الإلهي والفقيه الرباني
المولى ميرزا محمد باقر الاسكوئي الإحقاقي
أعلى الله مقامه المتوفى سنة ١٣٠١
طبع تحت إشراف
آية الله العظمى المجاهد
الحاج ميرزا عبد الرسول الإحقاقي
دامت بركاته
لجنة النشر والتوزيع
جامع الإمام الصادق عليه السلام



الرسالة التطهيرية

من تأليفات

أويس عصره وسلمان زمانه الحكيم الإلهي والفقيه الرباني

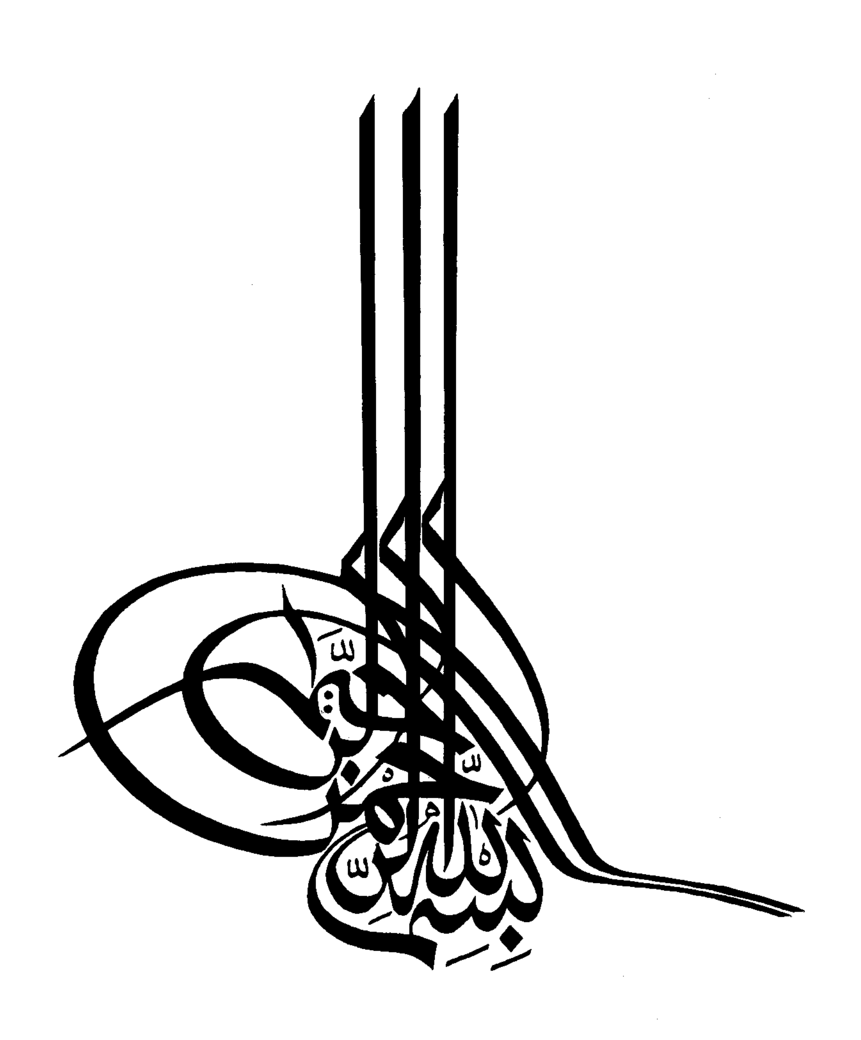
المولى ميرزا محمد باقر الأسكوئي الإحقاقي

أعلى الله مقامه المتوفى سنة ١٢٣١ هـ

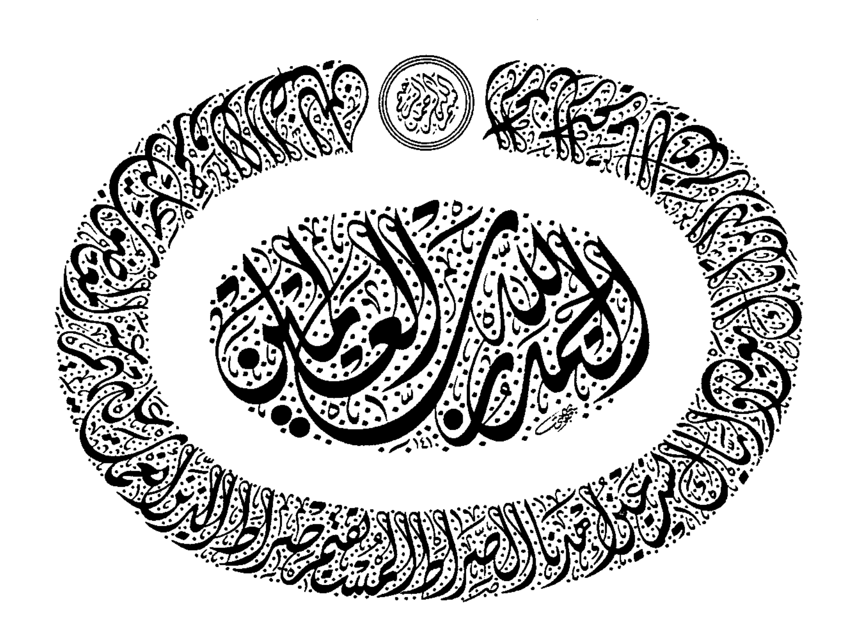
طبع تحت إشراف
آية الله المعظم المجاهد
الحاج ميرزا عبد الرسول الأحقاقي
دامت بركاته

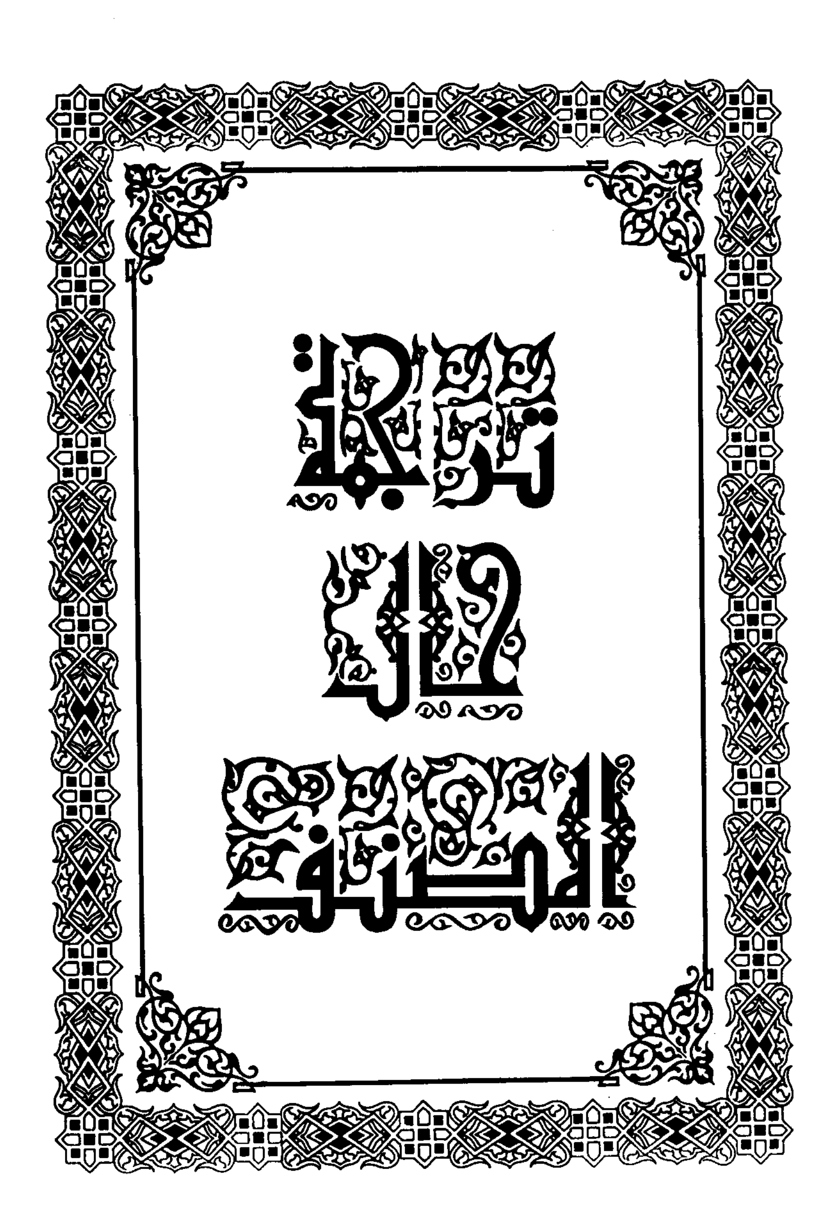
لجنة النشر والتوزيع
جامع الإمام الصادق عليه السلام




بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م


الحمد لله رب العالمين


ترجمة
المصنف



هو حضرة عمدة الفقهاء والمجتهدين ، قدوة الحكماء الموحدين حجة الإسلام والمسلمين ، آية الله في الأرضين جدنا العلامة مولانا الميرزا محمد باقر بن محمد سليم الاسكوئي أعلى الله مقامه ورفع في جنان الخلد أعلامه .

قرأ على والده المرحوم العالم العامل والفاضل الكامل الأخوند ملا محمد سليم قدس سره ثم ظعن إلى تبريز فقرأ على خاله السيد سليمان الأعرجي الحسيني وعلى أخيه السيد محمد مدة من الزمان ، ثم هاجر إلى العراق سنة إحدى وستين بعد الألف والمائتين .

قرأ في النجف الأشرف على أستاذ المجتهدين الأعلام رئيس الفقهاء العظام شيخنا الشيخ مرتضى الأنصاري طاب ثراه مدة مديدة وأظهر في قيد الكتابة كثيرا من إفاداته وإفاضاته في الفقه والأصول من

حجية القطع وأصل البراءة والاستصحاب والتعادل والتراجيح وكلها بقلمه الشريف موجودة عندنا.

وبعد اكتفائه واستغنائه عن بحث الشيخ المذكور كملا، توجه إلى كربلاء المقدسة وقرأ في المعقول والحكمة والإلهية وغيرها على العالم العليم والبحر الخضم حاوي الفروع والأصول جامع المعقول والمنقول العالم الرباني الأزهر الميرزا حسن الشهير بكوهر طيب الله تربته الزكية.

بقي عنده يلتقط من ثمار تحقيقاته ويستفيد من إفاضاته مدة حياته، وكان مبرزا بين تلاميذه ومحط نظره الشريف حتى كان يأمره بعض الأحيان بالجواب عن بعض المسائل التي ترد عليه كالسؤالات البحرانية، وكان يثني عليه كثيرا في الملأ دون سائر أصحابه، وأجازه بالإجازة المفصلة رواية ودراية مضافا إلى سائر إجازاته من العلماء الأعلام.

وبعد وفاته استقام في كربلاء وصار مرجعا للعرب وللعجم وقلده كثير من العراق والخليج وبلاد إيران وبلاد قفقاز وتركستان ومعظم آذربيجان لا سيما أهل تبريز وما والاها على الخصوص مسقط رأسه وهي (أسكو) عموما وغالب أهالي كربلاء .

وكان يصلي الأوقات الثلاثة جماعة بجمعية كثيرة في الروضة المقدسة الحسينية طرف الرأس المطهر ، وكان يضرب به المثل في زهده وتقواه ويعرف أنه أويس عصره وسلمان زمانه ودهره ، وكان كثير المواظبة على النوافل والمستحبات قائم الليل وما فاته شيء من نوافله الليلية والنهارية سفرا وحضرا وأوقاته كانت موظفة ليلا نهارا .

وكان كثير الصمت قليل الكلام جدا في المحافل وغيرها وما كان يتكلم إلا إذا كلم أو سئل فيجيب بما قل ودل ، ولا يضحك إلا مبتسما ، وكان طويل الفكرة كثير الذكر والعبرة وسيع الصدر حسن الخلق

ومعروفا بالكرامات الكثيرة وانفتاح أقفال أبواب الروضة المقدسة له ، ومع كثرة ورود الحقوق وأنواع الوجوه عليه ما كان يبيت عنده شيئا إلا اضطرارا وما كانت ترضى نفسه القدسية إلا بتفريقها وإيصالها إلى مستحقها في يومها ومع ذلك توفي عن دين كثير فبيعت كتبه ودار سكناه في ذلك .

وله تحرير عجيب في أداء المطلب وإيضاحه بكمال الفصاحة والبلاغة ومن لا حظ مصنفاته في الفقه والأصول والحكمة الإلهية وغيرها اتضح له المقام وعرف أنه رجل لم تسمح بمثله الأيام ومصنفاته في أنواع العلوم والمعارف كثيرة تلف بعض منها عند الناس في أيام حياته قدس سره أخذ بعض تجار تبريز لأجل الطبع نبذة من فتاواه وأجوبة المسائل المختلفة فقها وحكمة وغيرها كلها بقلمه مقدار كتاب (جامع الشتات) للميرزا أبي القاسم القمي فتلفت عند ذلك التاجر ولم يوجد لها عين ولا أثر .

والموجود عندنا بقلمه الشريف قريب من ستين مصنفا له وعاش قدس سره سبعين سنة أو أكثر بقليل وتوفي سنة الإحدى والثلاث مائة بعد الألف في كربلاء عند طلوع الفجر الصادق يوم العاشر من شهر صفر المظفر ، وصار يوم وفاته عظيما على أهل كربلاء وصاروا في انقلاب واضطراب بين باك وباكية وقلما رفعت جنازة كجنازته ودفن في حجرة مفرزة من دار سكناه .

لما وصى أعلى الله مقامه من عدم دفنه في الرواق المطهر والصحن الشريف وحجراتها لأدائه إلى النبش المحرم ومقبرته موجودة معروفة ومادة تاريخ وفاته (غاب عنا إمام الدين) ومختصره (غرقى) .

ونذكر بعض مصنفاته الموجودة عندنا بقلمه منها :

كتاب معين التجارة ١ فارسي ـ في المعاملات نافع مفيد مطبوع ، ورسالة في طهارة مدفوعات

المعصومين الأربعة عشر ودمائهم ، رسالة في جواب سؤالات الشيخ عيسى كليدار الجوادين عليهم السلام ، رسالة في معنى (العبودية جوهرة كنهها الربوبية) ، رسالة في الجواب عن سؤالات السيد أحمد بن السيد محمد الحلي ، كتاب (المصباح المنير) في شرح الفصلين من الفصول المهمة للحاج محمد كريم خان ردا عليه ، وكتاب (حق اليقين) في شرح باقي الفصول للحاج المذكور ردا عليه أيضا وهما كتابان كبيران فصل فيهما وكشف عن مهمات مطالب الحكمة ، وكتاب (كشف المراد ـ فارسي) في جواب محمد باقر خان الجوان شير ، كتاب الصوم استدلالي ، كتاب (الاغسال) استدلالي ، كتاب (الوكالة) استدلالي ، كتاب (المواريث) استدلالي ومختصره أيضا ، كتاب (الرضاع) ونبذة من أحكام النكاح استدلالي ومختصره أيضا ، كتاب الأسئلة والأجوبة حكمية وفقهية ، كتاب (الطلاق) استدلالي ومختصره أيضا ،

رسالة عملية عربية وفارسية في العبادات ، رسالة في البداء مفصلة في جواب السؤال عن فقرة (يا من بدا الله في شأنه) في زيارة الجوادين عليهم السلام ، رسالة في السؤالات الحكمية ، رسالة في تغطية الرأس ، رسالة في جواب الشيخ علي بن قرين ، رسالة في أن الكفار مكلفون بالفروع كما أنهم مكلفون بالأصول ،رسالة مفصلة في جواب سؤالات أحد علماء البحرين التي كتبها بأمر أستاذه الميرزا كوهر ، رسالة في نجاسة الخمر ، رسالة في أن الأصل في الاشتقاق هو الفعل لا المصدر ، رسالة في أن الجسم مركب من الهيولي والصورة ، رسالة في تقسيم الأشياء إلى خمسة أقسام وإبطاله ، رسالة في تحقيق الوجود وإطلاقه على الله والخلق ، رسالة في أن ذات الله ليست مادة للأشياء ، رسالة في قول الإمام الرازي بجواز التكليف بما لا يطلق وجوابه لكن لم تتم ، رسالة في جواب شبهة ابن كمونة ، رسالة في جواب السؤالات السوقية للشيخ

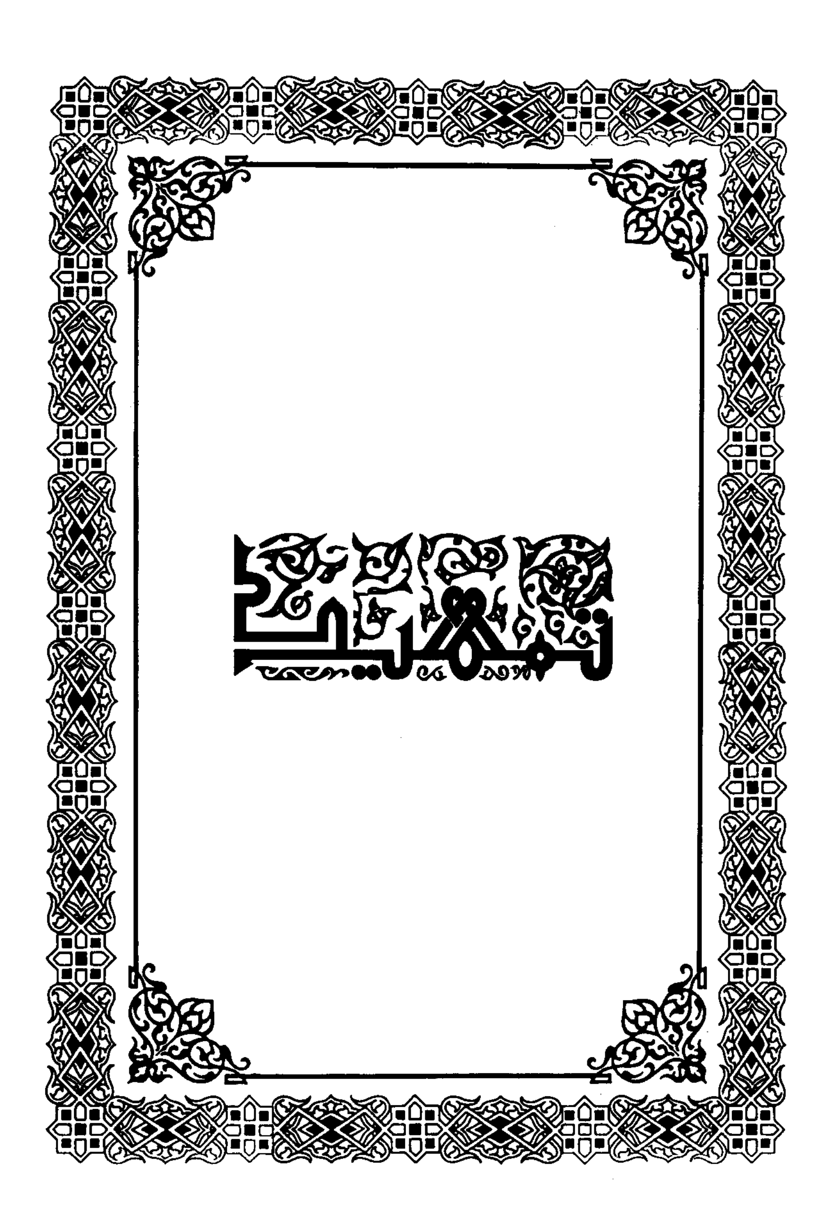
حسين الحرز ، رسالة في جواب السؤالات عـن الجمـع والتوفيق بين بعض الآيات ، رسالة حسـنة مفصلـة في جواب سؤال المرحوم جناب الشيخ محمد بن عيثان عن بيان (جف القلم) ، رسالة في جـواب سـؤال السـيد ناصر عن فقرة الدعاء (ومقاماتك التي لا تعطيـل لهـا في كل مكان) رسالة في تحقيق مسألة الحنك والمراد منه ومورد استحبابه ، رسالة في جـواب السـؤالات القـرة باغية ، رسالة في جواب المسائل القطيفية للشيخ محمـد بن يوشع ، رسالة في جواب السؤالات القطيفية أيضـا للحاج صالح ، رسالة في المسائل السوقية أيضا ، رسـالة في جواب السؤالات البحرانية للحاج خليل بن علـي البحراني ، رسالة في جواب سؤالات المرحـوم الشـيخ صالح البحرانـي ، رسـالة في التسـبيحات والقـراءة في الأخـيرتين هـل هـي بالجـهر أو الإخفـات ، رسـالة في تحقيق أن بين الطلوعـين هـل هـو مـن الليـل أو مـن

النهار أو قسم ثالث إلى غير ذلك من بعض المختصرات وأجوبة المسائل.

وفي النفس طبعها ونشرها كي لا تنحرم الناس عن فوائدها ولا يخفى فضل مصنفها وفقنا الله لذلك.

حرره الأحقر الفاني علي بن موسى بن محمد باقر بن محمد سليم الاسكوئي الحائري الاحقاقي عفى عنهم، آخر يوم من شهر رجب من سنة الألف والثلاث مائة والتسع والأربعين ١٣٤٩ في قصبة أسكو من أطراف تبريز صينت عن الزلازل والتهزيز




تمهيد



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه وأتى كل ذي حق حقه وكل مخلوق رزقه وكان الله سميعا بصيرا ولا يظلمون نقيرا، وصلى الله على من استخلصه في القدم على سائر الأمم وجعله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وعلى آله الذين علاهم بتعليته، فجعلهم بمنزلته مواضع رسالته ومساكن ولايته وأذهب عنهم كل رجس ودنس وطهرهم تطهيرا.

أما بعد فيقول العبد المسرف الأثيم، محمد باقر بن محمد سليم التبريزي أحسن الله حالهما وجعل مآلهما خير ما لهما، إنه قد التمس مني بعض ممن التزمت لإجابته، ولا يسعني رد طلبته، إلا بإسعاف ما جاء به وإنجاز جوابه أن أكتب رسالة في طهارة ما يبرز

عن معادن العصمة وأهل بيت الطهارة ، ونظافة ونه بأدلة واضحة ، وبراهين صريحة في المراد لائحة ، رأيته في الطلب ذا جد وهمة ، لا يقنع إلا بإتيان ما همه ، وكان مسئوله من الأمور المهمة لما فيه من كثرة الاختلاف بين الناس وشدة الاشتباه والالتباس ، عند أشباه الناس الذين يوسوس في صدورهم الخناس ، إلى أن ساقهم ذلك إلى إنكار دلالة الكتاب الناص في ذلك الباب فصل الخطاب ، وما يذكر إلا أولو الألباب والطعن في الأخبار والآثار ، الواردة عنهم عليهم السلام ، في هذا المضمار وهي في الوضوح والصراحة بمكان ، يغني عن البيان ، وقاسوا آل الرسول على أنفسهم وهم أعلى وأجل من القياس ، لا يذكر معهم الناس وأين الثريا من يد المتناول .

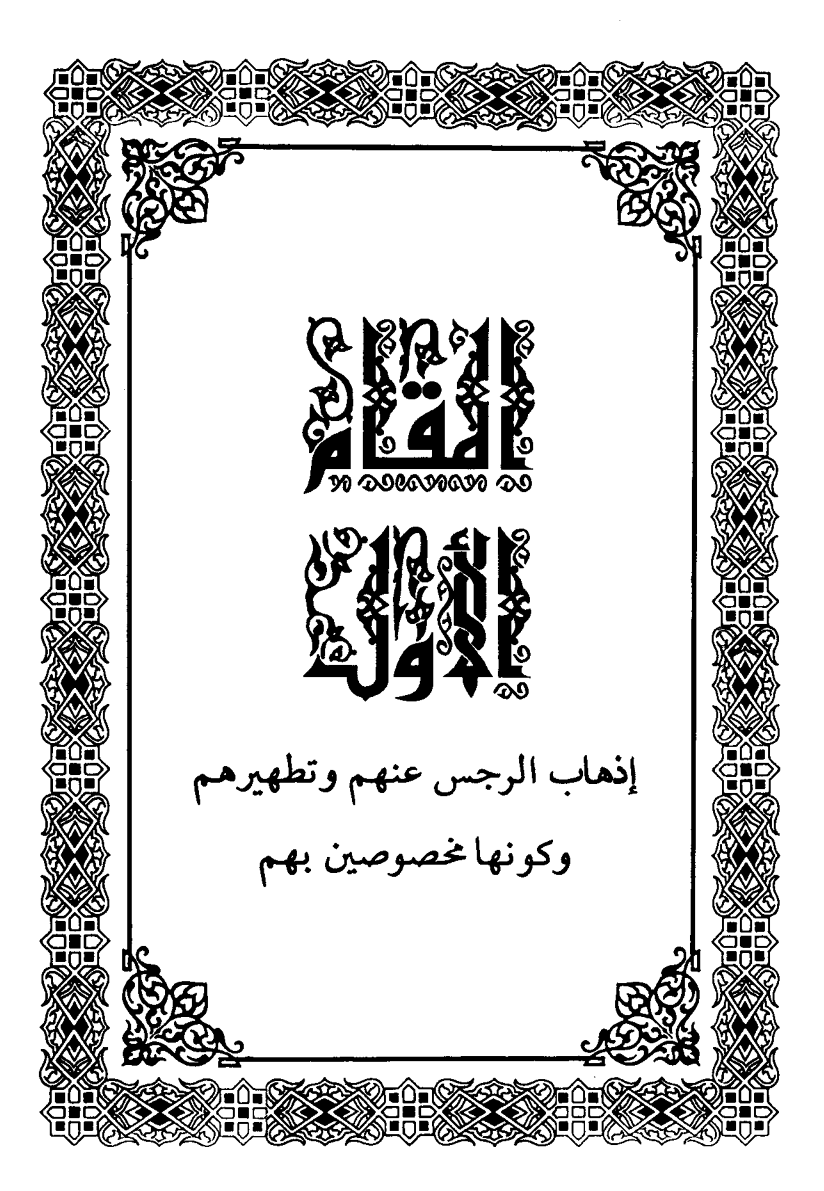
فهممت على رسمه متوسلا بعظيم اسمه ، مريدا للبسط في المقالة ، توضيحا للدلالة ، وحسما لأقاويل القالة بأنواع الأدلة من المجالة بالتي هي أحسن بالآي

والسنن والإجماع ودليل العقل والحكمة والموعظة الحسنة ليعلم كل أناس مشربهم وينال حظهم ومآربهم مستعينا بالله ونعم المستعان وعليه التكلان .

واعلم أن أول ما به يستدل وأنه لقول فصل وما هو بالهزل قول الله ﷻ ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ [1] ، ولا بد أن نشير أولا إلى معاني بعض مفردات الآية الشريفة وتأكيدها ودقائقها ونكاتها على حسب فهمنا وإدراكنا القاصر مما من به علينا ورزقنا نيله ووفقنا من فضله ، ويبين ذلك في عدة مقامات تقريبا للمرام من إدراك الإفهام وإزالة للشبهة عن ساحة الأوهام .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣



المقام الأول

إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم وكونها مخصوصين بهم

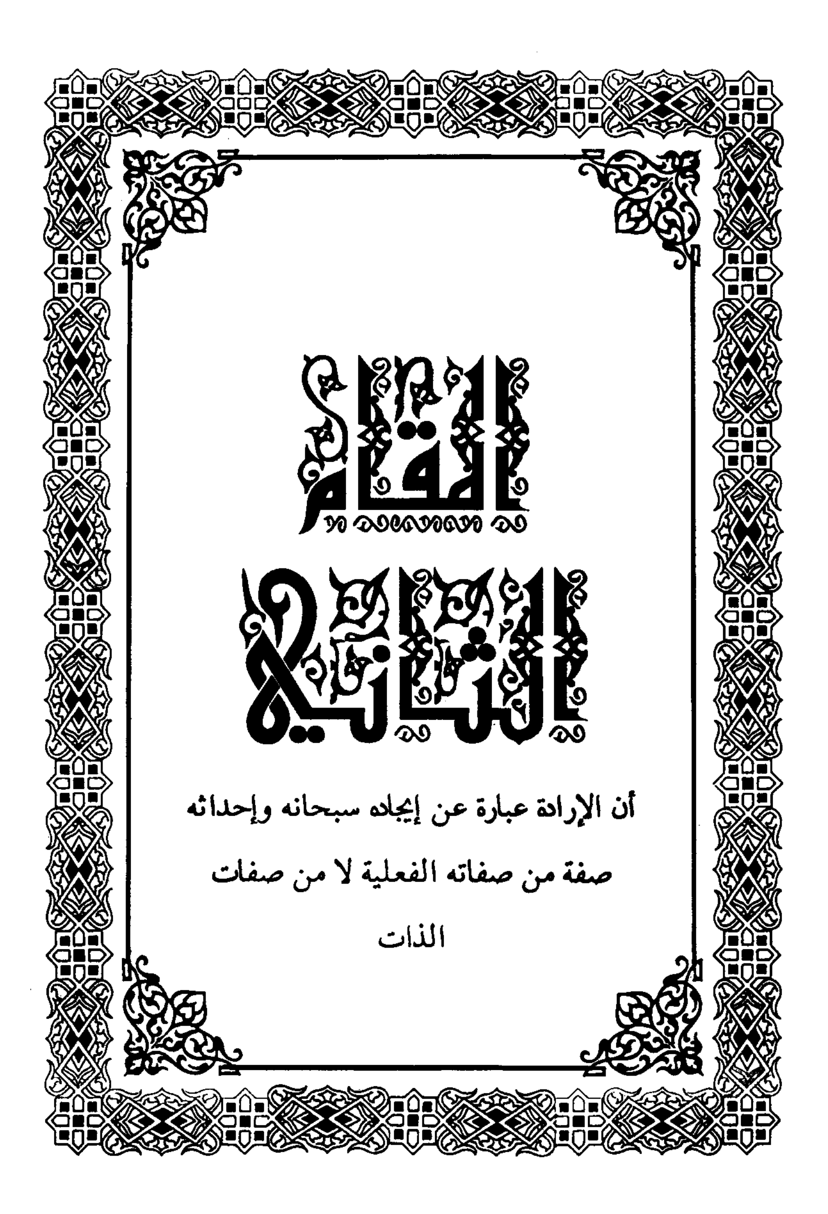


إن الحصر متعلقة على ما هو معـروف أمـران : إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم وكونهما مخصوصـين بهم ، والمعنى : أن الله سبحانه شـاء أن يذهـب عنكـم الرجس ويطـهركم تطـهيرا ومـا شـاء عـدم الإذهـاب والتطهير وأنتم أهل بيت النبـوة خاصـة هـذه النعمـة وأهل تلك الفضيلة العظيمة مـن دون سـائر البريـة ، علما منه سبحانه أنهم عليـهم السـلام انفـردوا عـن التشاكل والتماثل بالناس لا يدانيهم أحـد ولا يقـاس ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ [1] ما أراد الله فيهم إلا إذهاب الرجـس وإلا التطـهير دون نقيضـهما ومـا أراد ذلك إلا فيـهم دون غـيرهم ، وسـيأتي إنشـاء الله تعالى توضيح ذلك بالنسبة إلى الأنبياء وغيرهـم في بيان المراد من أهل البيت ومعنى آخر للحصر فتنظر .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٤





المقام الثاني

أن الإرادة عبارة عن إيجاده سبحانه وإحداثه صفة من صفاته الفعلية لا من صفات الذات



أن الإرادة عبارة عـن إيجاده سبحانه وإحداثه صفة من صفاته الفعلية لا من صفات الذات ، وهو ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام (المشية والإرادة مـن صفات الأفعال فمن زعـم أن الله تعـالى لم يـزل مريـدا شائيا فليس بموحد) [1]، وما روي عن عاصم بن حميد قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام ، لم يزل الله مريدا ؟

قال (إن المريد لا يكون إلا لمراد معه بـل لم يـزل عالما قادرا ثم أراد) . [2]

وصحيحه صفوان قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق .

فقال : الإرادة من الخلق الضمير ومـا يبـدوا لهـم بعـد ذلك من الفعل ، وأما من الله فأرادته أحداثـه لا غـير لأنه لا يروى ولا يهم ولا يتفكر فهذه الصفـات منفيـة عنه وهي صفات الخلق فإرادة الله هـي الفعـل لا غـير

---

(١) البحار ج٤ ص١٣٧ ر٤ ب٤

(٢) التوحيد ١٤٦

ذلك بقوله كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له (هي).[1]

ففي التعبير بلفظ الإرادة إشارة :

أولا : إلى أنه لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بمشيته وإرادته هم عليهم السلام وسائر الناس في ذلك شرع سواء عباد مملوكون لا يقدرون على شيء ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا إلا بأمره سبحانه لا بغيره من أنفسهم ومن أمثالهم ، بل كل واقف ببابه ماد يدي سؤاله إليه ، ولائذ بجنابه متوسل بفقره إليه ، وتتفاوت مراتب المخلوقين المكلفين حطة ورفعة بحسب مراتب الفقر إلى الله ضعفا وشدة ، فمن كان فقره إليه كالذي هو باب غناه أضعف فهو انقص إيمانا وأضعف غنى وهو

---

(١) البحار ج٤ ص١٣٧ ر٤ ب٤

قوله عليه السلام (كاد الفقر أن يكون كفرا) [١] ومن كان في فقره واحتياجه إليه سبحانه أشمل وأعم كان أعلى يقينا وأكمل وأتم غنى .

ولما كان الأربعة عشر المعصومون عليهم السلام حازوا الفقر من جميع جهاته بحيث ما أبقوا منه ذرة ما نالوها ولا بقية ما حاولوها حتى أن سيدهم الأكبر ما افتخر بشيء إلاّ بالفقر وقال صلى الله عليه وآله (الفقر فخري وبه أفتخر) [٢] وقال أميرهم (كفى لي فخرا أن أكون لك عبدا) [٣] وهم عليهم السلام المعنيون حقيقة وأصالة بالخطاب بقوله تعالى ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني ﴾ [٤] لما ورد عنهم عليهم السلام (نحن

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق

(٢) البحار ج ٧٢ ص٣٠ ر٤٦ ب٩٤

(٣) المناقب المجلد الثالث ص ١٠٤

(٤) سورة فاطر آية ١٥

الناس وشيعتنا أشباه الناس وسائر الناس نسناس) ، وفي رواية (همج إلى الناس) [1] وغيرهم من الأنبياء والرسل والأولياء والمؤمنين فقرهم حقيقة تبعية بالنسبة إلى من فوقهم وأصلية للسافل منهم ، والكل متخذ منهم عليهم السلام وفرع لفقرهم وكانوا عرضوا حاجتهم عليهم السلام إليه تعالى بكل لسان وما نظروا إلى أنفسهم في شان من الإمكان والأكوان ، أغناهم الله من فضله وجعلهم ميزان عدله ومحلا لإرادته ومصدرا لإمداداته ومستقرا لغاياته وكراماته ومن عليهم بالعصمة والطهارة ، وعني بمنزلتهم وخصوصيتهم بأصرح عبارة .

وثانيا : أشار سبحانه بلفظ الإرادة أن علة الأشياء هي مشيته وإرادته تعالى والذات سبحانه أعلى وأجل عن النسب والإضافات وسائر الاعتبارات وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام (علة ما صنع وهو لا علة له) ،

---

(١) البحار ج١ ص١٨٧ ر٣ ب٢

وفي الدعاء (كل شـيء سـواك قـام بـأمرك) ، وقولـه سـبحانه ﴿ ومـن آياتـه أن تقـوم السـماء والأرض بأمره ﴾ [1] .

فجميع المخلوقات والمصنوعات من العلويـات والسفليات والأسباب والمسببات والمجردات والماديات ، وكل مـا سـواه قـائم بـأمره سـبحانه صـدورا الفعلـي والمفعولي ركنا وعضدا وظهورا وتحقيقا وعروضا انتهى المخلوق إلى مثله ، لا كما يقولـه القـائل أنـه سـبحانه فاعل بالعناية أو بالرضا أو بالجبر أو أنه يفعـل بذاتـه من دون فعله تعالى عما يقولون علوا كبـيرا يفعـل مـا يشاء بما يشاء لما يشاء كيف يشاء ، وأشـياء قائمـة بـأمره بين الكاف والنون ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [2] وهو إيجاده وإحداثه لا غير ، والأشياء

---

(١) سورة الروم آية ٢٥

(٢) سورة يس آية ٨٢

وحقائقها باقية بإبقائه وفعله لا ببقائه سبحانه وتعالى وهو الغالب على أمره والقاهر فوق عباده .

وثالثا : أوردها سبحانه بصيغة الفعل المستقبل مشيرا إلى أن تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم يريده ، وإرادته له تتجدد آنا فآنا لا تتخصص بزمان دون زمان ، ولا تعطيل لها في كل مكان لا تزال نعمته عليهم شاملة ، ورحمته عامة كاملة ، فعصمته لهم متجددة حين بعد حين ، وتطهيره إياهم غير منقطع عنهم طرفة عين ، متصل متزايد من غير فتور في البين ، لأنهم الذين عنده لا يستكبرون عن عباده ولا يتحسرون يسبحون الليل ، لا يفترون لم يفقدهم حيث يحب ولم يجدهم حيث يكره ويمكن إرجاع معنى الحصر هذا وهو كونه في وقت بعد وقت في جميع الأوقات متصلا متجددا مقطوع .

يعني إنما أراد الله تطهيرهم في كل قرن قرن وزمن زمن بلا انقطاع وانتهاء لا أنه يريد في آن دون

آن وزمان دون زمان كما زعمه الذين يوحي إليهم ويوسوس في قلوبهم الشيطان فيكون على هذا أشد تأكيدا وأشد تشييدا في تطهيرهم وتزكيتهم عن أنواع الرجس وأجناسها وأشخاصها التي توجد في كل زمان ومكان لا تخلو منها الأزمنة والأمكنة ، فلهم من الله سبحانه في كل حين إرادة جديلة وتطهير جديد وتهذيب جديد ، وهم عليهم السلام لا يزالون في طهارة ونظافة ونزاهة جديدة منا منه عليهم ، وكل نعمة ابتداء وإحسان تفضل وهو قول الصادق عليه السلام (لو لم نزدد لنفدنا) وفي أخرى (لنفد ما عندنا) [1] .

وفي ذكر الإرادة وتقديمها حيث قال ﴿ إنما يريد الله ... ﴾ الآية ، ولم يقل إنما يذهب الله ... الخ - إيماء إلى نهاية الاعتناء بتطهيرهم ، وأنه مراد الله إرادة محبة وعزم ، ومحبوب عنده على أكمل وجه وأتم ، إذ هم

---

(١) بصائر الدرجات ص ١٣١

المقصودون بذلك من دون العالم وهم التامون في محبة الله إياهم ، ومحبتهم إياه وهم قوم يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين بالرحمة والرأفة ، وأعزة على الكافرين بالشدة والغلبة ، فمن أحبهم فقد أحب الله وأحب كل من يحبه من الأنبياء والأوصياء والصالحين وجميع الخيرات ، ومن أبغضهم فقد أبغض الله وأبغض كل محبوب له ، فحبهم خير كله بغضهم شر كله ، وجميع الخيرات والشرور تعود إليها وهم أصلها ومعدنها ، وهو الذي رواه الصدوق رحمه الله في العلل بإسناده عن المفضل بن عمر :

قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام ، لم صار علي بن أبي طالب قسيم الجنة والنار ؟

قال : لأن حبه إيمان وبغضه كفر وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان وخلقت النار لأهل الكفر فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلة ، فالجنة لا يدخلها إلا أهل محبته والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه .

قال المفضل : يا بن رسول الله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبونه وأعدائهم يبغضونه ؟

فقال : نعم .

قلت : فكيف ذلك ؟

قال : أما علمت أن النبي صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله على يديه ودفع الراية إلى علي ففتح الله على يديه ؟

قلت : بلى .

فقال : أو ما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وأله لما أوتي بالطائر المشوي قال : اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل هذا الطير وعنى به عليا ؟

قلت : بلى .

قال : فهل يجوز أن لا يحب أنبياء الله ورسله وأوصيائهم رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ؟

فقلت : لا .

قال : فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أممهم لا يحبون حبيب الله وحبيب رسوله وأنبياءه ؟

قلت : لا.

قال : فقد ثبت أن جميع أنبياء الله وجميع المؤمنين كانوا لعلي بن أب طالب عليه السلام محبين ،وثبت أن أعدائهم و المخالفين لهم كانوا له ولجميع أهل محبته مبغضين .

قلت : نعم .

قال : فلا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين فهو إذا قسيم الجنة والنار (هي) [1] .

فتدبر في معنى الحديث تجد أسرار لطيفة فإنه صار ميزان الإيمان حبهم عليهم السلام بالنسبة إلى الأنبياء والأوصياء وسائر المؤمنين كل بحسبه والأنبياء بتفاوت مراتبهم واختلاف مقاماتهم من الرسل وغيرهم وأولي العزم وغيرهم وكذلك الأولياء والمؤمنون من أول مراتب الإيمان من ذي عشر إلى

---

(١) تأويل الآيات ص ٧٦٤

عشرة أعشار وهي عبارة عن جزء وجزء وعشر إلى جزأين إلى ثلاثة أجزاء إلى تسعة وأربعين جزء وهو أعلى مراتب الإيمان .

والعمل باعتبار المعرفة ومراتبها وعدمها وباعتبار اليقين ودرجاته والجهل البسيط ومركبه ، والشك والريب والتردد وباعتبار داعي العمل عرضية وأصلية منه جسماني ومنه نفساني ومنه عقلاني وغيرها مما لم يذكر أكثر .

إذا لاحظت مضروب المذكور في نفسه وغيره ترى مقامات غير متناهية واختلافات متكاثرة لا تكاد تحصى كل هذه الكثرات بأسرها والمقامات بحذافيرها والحالات بجميعها تنتهي إلى حبهم عليهم السلام ، وهو يجمعها ويضبطها بحدودها ولا يدع شيئا من قيودها ونسبها وإضافاتها إلا أحصيها ويعطي كلا على ما هو عليه مما له وبه عنه وإليه وكل شيء عنده بمقدار ولا يظلمون فتيلا .

كيف وهم أمة يهدون بالحق وبه يعدلون يقسمون بالسوية ويعدلون في الرعية ؟ وكل ذلك مما عليه الخلق من شدة اختلافاتهم في منازلهم ومقاماتهم وكثرة تفاوتهم في أوضاعهم وإضافاتهم فروع محبتهم وآثار ولايتهم عليهم السلام الظاهرة بين الناس المتعلقة بهم المشرقة عليهم وتلك المحبة فرع لمحبتهم لله تعالى وأثر لها وشعاعها وهي فرع محبة الله تعالى بهم وهي المحبة الحقيقية عالم فأحببت أن أعرف .

فهم محال محبته ومعرفته سبحانه وقلوبهم أوعية مشيته وإرادته اصطنعهم لنفسه لا لأنفسهم ولا لغيرهم وأذهب عنهم كل ما ليس لله ولا يوفق محبته ورضاه وطهرهم تطهيرا بالغا غاية الغاية ومنتهى النهاية كيف لا وهم خاصة الله وخالصته وخيرة الله وصفوته ومنتهى النهاية كيف لا وهم خاصة الله وخالصته وخيرة الله وصفوته من جميع خلقه لا يلحقهم لاحق ولا يطمع في إدراكهم طامع فلهذا

قدمت الإرادة إظهارا لعظم قدرهم وكبر شأنهم وعلـو خطرهم ، بأنهم أهل العناية ، ومحل العصمة والكفاية ، بحيث سـقطت الأشـياء دون بلـوغ أمـده ، وقصـرت الأوهام عن إدراك وصفه وحده ، فافهم الإشارة بأخصر عبارة .




المقام
الثالث
في قوله تعالى
﴿ ليذهب ﴾



في قوله تعالى ﴿ ليذهب ﴾، اللام للتأكيد وصيغة الاستقبال لإفادة التجديد ، كما ذكر في قوله سبحانه ﴿ يريد ﴾ وهو مريد توكيد يدل على كمال الاعتناء لشأنه من الأشياء في ق ذهب به أزاله كأذهبه في الظاهر واضح لا ستر فيه ولكن الأشكال في الإزالة تقتضي ثبوت المزال ووجوده أولا حتى تصح الإزالة ويلزم عليه تطرق الرجس والدنس عليهم السلام ولو أنا ما وهم المعصومون المطهرون من كل زلل ودنس ورجس في قول وعمل ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، ليس لأحد فيهم مغزولا مهمز في حسب ولا نسب .

كانوا أنوارا في الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهرة لم تنجسهم الجاهلية بأنجاسها وأرجاسها ولم تلبسهم من مدلهمات ثيابها ، وهذا مما علم من المذهب ضرورة فمن قال لم وكيف فهو شاك مرتاب ليس من في حرف فضلا عن الباب ، والجواب عن

الإشكال وكشف النقاب عن وجه حق الصواب بوجوه.

الوجه الأول : أن الرجس الذي أذهبه الله تعالى عنهم من جملة معانيه ميلاد الجاهلية المتفق بين المسلمين على أنه مراد قطعا ما خالف فيه أحد من الخاصة والعامة قد نص له الخبر وهو ما رواه العياشي عن الباقر عليه السلام (**ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن أن الآية ينزل أولها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء ثم قال ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنهم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ من ميلاد الجاهلية) هي** [1].

وميلاد الجاهلية هو فساد النسل بالزنا والسفاح وتدنسه بدنائة الآباء ورذالتهم وتحرجهم للمناهي وعدم تحرزهم عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتلبسه بالأمهات وتكونه في البطون العاهرة الفاجرة،

---

(١) تفسير العياشي ج١ ص١٧

واستقراره في الأرحام الفاسقة الكافرة ، وذلك ما حـل بدار عصمتهم أصلا وما نزل بساحة عفتهم أبدا وهـو قوله عليه السلام في زيارة وارث (أشهد أنك كنـت نـورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها) [٢] .

لا بتصور معنى الإزالة على ما ذكر من أنه رفع لما ثبت ولو يسـيرا هيـهنا لأن الميـلاد إذا تطـرق عليـه رجس وفساد على ما فصل فكيف يرتفع ويكون طيب الميلاد ؟ فلا يتعقل طيب الولادة ونزاهتها عـن أنجـاس الجاهلية وأرجاسها إلا بكونهم ما عرضت في أنسابهم منها شائبة أحدا وما تلوثت أذيالهم من كثافتها أبدا .

فظـهر أن الله سـبحانه أذهـب عنـــهم ميـــلاد الجاهلية وطهرهـم منها قبل أن يصل إليهم منه شيء أو تمسـهم منـه رائحـة فكذلـك الحكـم في سـائر معـــني الرجس الآنية بلا تفاوت . فالجواب عــن الإيـراد هنـا

---

(١) الإقبال ص ٦٠٧

هو الجواب عنه فيها وهذا الكلام نقض لإبرام الإيراد ، والإشكال عن وجه المراد والذي يوضح حقيقة الحال أن ذهب إذا على بالباء حرف الجر يستعمل كثيرا في رفع الواقع ومحو النابت بل ما وجدت مقاما غيره يتعمل فيه ، كقوله تعالى ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ [١] ، وقوله ﴿ وإنا على ذهاب به لقادرون ﴾ [٢] ، وقوله ﷺ ﴿ إني ليحزنني أن تذهبوا به ﴾ [٣] وغيرها يطلع عليه من تتبع ، وإذا على بهمزة الأفعال يطلق مرة في رفع ما ثبت كقوله عز من قائل ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ﴾ [٤] وقوله ﷻ ﴿ أذهبتم طيباتكم في

---

(١) سورة الاسراء آية ٨٦

(٢) سورة المؤمنون آية ١٨

(٣) سورة يوسف آية ١٣

(٤) سورة فاطر آية ٣٤

حياتكم الدنيا واستمعتم بها ﴾[1] ، وأخرى في دفع ما لم يصب كما في الآية الشريفة وأهل اللغة فسروه بالإزالة على الاستعمالين على ظاهر ما يفهمه العرف ليميزوه تميزا ما جريا على ما هو شأنهم ودأبهم في أكثر المقامات ، ألا ترى أنه لو قيل في قوله ﷻ ﴿ أذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا ﴾[2] ، وفي قوله ﷻ ﴿ إني ليحزنني أن تذهبوا به ﴾ وقوله ﷻ ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري ﴾[3] ليخل بالمقصود ورايته كلاما في غاية البشاعة فعلم أن الإذهاب ليس معناه حقيقة هو الإزالة حتى يرد ما ذكر ويلزم عليه ما تستلزمه بل هي معنى له قشري وتفسير لفظي ظاهري نعم لو قيل أن الإذهاب يقتضي ظاهرا وجود شيء يذهب به وحصوله

---

(١) سورة الأحقاف آية ٢٠

(٢) سورة الأحقاف آية ٢٠

(٣) سورة طه آية ٤٢

في محل يذهب منه فيلزم عليه المحذور أيضا فالجواب ما سمعت من منع الملازمة أعم من محو ما ثبت ودفع ما لم يكن يثبت ورد ما يمكن أن يثبت والآية الشريفة من القسم الثاني لا الأول ويدل عليه العقل والنقل .

أما العقل فكما مر من أن طهارة الميلاد من أرجاس الجاهلية لا تتحقق إلا بعدم طرو شيء منها أبدا فإذا عرض شيء منها ولو يسيرا فينجس الميلاد بقدره ويخبث فلا يرتفع بعده أبدا .

وأما النقل فكثير جدا لا يكاد يحصى ، لكن نذكر بعضا يسيرا مما يناسب المقام ، لئلا يطول بنا الكلام إلى ما لا يرام ، في البحار عن تفسير فرات بن إبراهيم روى علي بن محمد بن مخلد الجعفي معنعنا عن ابن عباس في قول الله تعالى ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ﴾ .

(قال : خلق الله نطفة بيضاء مكنونة جعلها في صلب آدم ثم نقلها من صلب آدم إلى صلب شيث ومن

صلب شيث إلى صلب أنوش ومن صلب أنوش إلى صلب قينان حتى توارثتها كرام الأصلاب و مطهرات الأرحام حتى جعلها في صلب عبد المطلب ثم قسمها نصفين فألقى نصفها إلى صلب عبدالله ونصفها إلى صلب أبي طالب وهي سلالة فولد من عبدالله محمد ومن أبي طالب علي عليهما السلام فذلك قول الله تعالى ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ﴾ ، وزوج فاطمة بنت محمد عليا فعلي من محمد ومحمد من علي والحسن والحسين وفاطمة نسب وعلي الصهر) . [1] هي

وفيه معنعنا عن ابن عباس قال رسول الله كان جالسا وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين :

فقال (اللهم انك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس علي فأحبب من أحبهم وأبغض من أبغضهم ووال من والاهم وعاد من عاداهم وأعن من أعانهم

---

(١) البحار ج٣٥ ص٣٦ ر١ باب١٥

واجعلهم مطهرين من كل رجس معصومين من كل ذنب وأيدهم بروح القدس منك . ثم قال : يا علي أنت إمام أمتي وخليفتي عليها بعدي وأنت قائد المؤمنين إلى الجنة وكأني أنظر إلى ابنتي فاطمة قد أقبلت يوم القيامة على نجيب من نور عن يمينها سبعون ألف ملك وعن يسارها سبعون ألف ملك وبين يديها سبعون ألف ملك تقود مؤمنات أمتي إلى الجنة فأيما امرأة صلت في اليوم والليلة خمس صلوات وصامت شهر رمضان وحجت بيت الله الحرام وزكت مالها وأطاعت زوجها ووالت عليا بعلي دخلت الجنة بشفاعة ابنتي فاطمة وأنها لسيدة نساء العالمين .

فقيل : يا رسول الله أهي سيدة نساء عالمها ؟

فقال : ذاك لمريم بنت عمران وأما ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وأنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين وينادونها بما نادت الملائكة مريم .

فيقولون : يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين .

ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال يا علي إن فاطمة بضعة مني وهي نور عيني وثمرة فؤادي يسوئني ما سائها ويسرني ما سرها وأنها أول من يلحقني من أهل بيتي فأحسن إليها بعدي ، وأما الحسن والحسين فهما ابناي وريحانتاي وهما سيدا شباب أهل الجنة فليكرما عليك كسمعك وبصرك ثم رفع يده إلى السماء فقال اللهم إني أشهدك إني محب لمن أحبهم ومبغض لمن أبغضهم وسلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم وعدو لمن عاداهم وولي لمن والاهم) [1] .

وفيه عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام قال (إنما سميت بنت محمد الطاهرة لطهارتها من كل دنس وطهارتها من كل رفث وما رأت قط يوما حمرة

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص٤٨٦

ولا نفاسا) ، وفيه عن الصادق عليه السلام (تدري لأي شيء سميت فاطمة ...، قال : فطمت من الشر) هي [1].

وهذه الأخبار دالة ناصة في طهارتهم عن كل ما يصدق عليه أنه مستنكر والطباع السليمة تشمئز منه من كل دنس ورفث وشر ورجس وذنب ما ظهر منها وما بطن في السر والعلن أولا وآخر ، وبعض منها المضمون يذكر إن شاء الله متفرقا في مواضع تناسبه وتليق به .

ومن معاني الرجس : الشك وهو مراد في الآية اتفاقا ونصا ولا شك أنه منتف عنهم أصلا لم يلحقهم أولا ولا يلحقهم أبدا وهو قول الصادق عليه السلام (إنا لا نشك في ربنا أبدا) [2].

ومنها الخطأ والزلل سيمر عليك في بيان الرجس ، وهذان أيضا لم يصلا عليهم أصلا ، ويشهد

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص٥٩٢

(٢) البحار ج٣ ص٥١ ر٢٥ ب٣

عليه خصوص قول علي بن الحسين عليهما السلام في تفسير قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [1] وهو الذي رواه العسكري عليه السلام في تفسيره عنه قال (إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث جيشا ذات يوم لغزاة أمر عليهم عليا عليه السلام ، وما بعث جيشا قط فيهم علي عليه السلام إلا جعله أميرهم ، فلما غنموا رغب علي عليه السلام في أن يشتري من جملة الغنائم جارية ثمنها في جملة الغنائم فكايله فيها خاطب ابن أبي بلتعة وبريلة الأسلمي وزايله ، فلما نظر إليهما يكايدانه ويزيدانه ، انتظر إلى أن بلغت قيمتها قيمة علل في يومها فأخذها بذلك ، فلما رجعوا إلى رسول الله تواطئا على أن يقول ذلك بريلة لرسول الله ، فوقف بريلة قدام رسول الله وقال : يا رسول الله ألم تر أن ابن أبي طالب أخذ جارية من المغنم دون المسلمين ؟ فأعرض عنه رسول

---

(١) سورة البقرة آية ٢١

الله ثم جاء عن يمينه فقالها فأعرض عنه رسول الله ، فجاءه عن يساره وقالها فأعرض عنه ، وجاء من خلفه فقالها فأعرض عنه ، ثم علا بين يديه فقالها فغضب رسول الله غضبا لم ير قبله ولا بعده غضب مثله وتغير لونه وتزبد وانتفخت أوداجه وارتعدت أعضائه وقال : مالك يا بريدة آذيت رسول الله منذ اليوم ؟ أما سمعت الله عز وجل يقول ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ .

قال : بريدة يا رسول الله ما علمت أنني قصدتك بأذى.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أو تظن يا بريدة أنه لا يؤذيني إلا من قصد ذات نفسي ؟ أما علمت أن عليا مني وأنا منه وأن من آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فحق على الله أن يؤذيه بأليم عذابه في نار جهنم ؟ يا بريدة أنت أعلم أم

الله ؟ أنت أعلم أم قراء اللوح المحفوظ ؟ أنت أعلم أم ملك الأرحام ؟ .

قال بريدة : بل الله أعلم وقراء اللوح المحفوظ أعلم وملك الأرحام أعلم .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فكيف تخطئه وتلومه وتوبخه وتشنع عليه في فعله وهذا جبرائيل أخبرني عن حفظة علي أنهم ما كتبوا قط خطيئة منذ ولد وهذا ملك الأرحام حدثني أنهم كتبوا قبل أن يولد حيث استحكم في بطن أمه أنه لا يكون منه خطيئة أبدا ، وهؤلاء قراء اللوح المحفوظ أخبروني ليلة أسري بي أنهم وجدوا في اللوح المحفوظ علي معصوم من كل خطأ وزلة فكيف تخطئه يا بريدة وقد صوبه رب العالمين والملائكة المقربون ؟) هي .[1]

ولا ريب أن الأربعة عشر المعصومين شركاء على السواء في جميع هذه الأحكام إلا الخواص لنبينا

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص١٣٨

صلى الله عليه وآله وذلك ضروري عند علماء الفرقة الحقة .

الوجه الثاني : إن النبي دعا لهم بالتطهير وإذهاب الرجس عنهم في مواطن كثيرة ، يوم نزول الآية واليوم الذي رواه ابن عباس وهو ما تقدم ، ويوم جاءه الإعرابي بضب وشهد الضب بنبوته بعد أن شهد لله بالوحدانية وأسلم الإعرابي وحسن إسلامه وركبه سعد بن عبادة على ناقته وأمير المؤمنين عليه السلام عممه بعمامته وزودته فاطمة عليها السلام ، ثم ورد النبي إلى حجرتها وكان لم يطعم شيئا منذ ثلاثة أيام ، فلما رآها ونظر إلى صفار وجهها وتغير حدقيتها وكانت هي والحسنين عليهم السلام ما طعموا طعاما منذ ثلاث فأخذهما على فخذيه الأيمن والأيسر واعتنقهما ودخل علي عليه السلام فاعتنق النبي من ورائه ثم رفع النبي طرفه إلى السماء فقال (إلهي وسيدي

ومولاي هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) [1] .

وذلك أحد الأيام التي نزلت عليهم مائلة من السماء والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة ونقلناه بالمعنى ، وغيرها من الأيام التي لا تخفى على من مارس الأخبار ، وجاس خلال تلك الديار .

ولا شبهة أن دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله مستجابة أول مرة فأي معنى لإذهاب الرجس عنهم والتطهير في الدفعات التالية ؟ فما يجاب به هنا ويراد من الدعاء فهو المراد منها في الدعوة الأولى .

والجواب عما أورده على الدعوى وهذان الوجهان جواب على مقتضى الظاهر بالدليل المجادلة نقضا لإبرام الخصم ، وإلزاما له على الحق وإن لم يفهم .

---

(١) التحصين لابن طاووس ص٦٣٥

الوجه الثالث : أن الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام منزهون من كل زلة وخطأ وفتنة وشر وريب ، مطهرون من كل دنس ورجس ونجس وذنب وترك ما يرجح من أول بدو وجودهم إلى منتهى ظهورهم وشهودهم وغاية عودهم ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ .[1]

لكن هنا سر سار في جميع ذرات العالم ، وأمر يجري ويمر به القلم ، وأصل متقن لا ينخرم ، وسنة الله المطردة في سائر الأيام في الأمم ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ، وهو أن الممكن كائنا من كان لا يتمكن على شأن إلا بتمكين الله سبحانه ، ولا يكون شيء إلا بتكوينه إذ كانت الأشياء بمشيته ، وأنهم عليهم السلام وإن كانوا في أعلى مرتبة من مراتب جميع الكمالات لا تكون فوقها رتبة وأرفع منها منزلة ، وكانوا في الصفا والاستعداد في

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٩

مقام يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نـار ، لكنـه لـولا تيسر الله لتلك الكمالات وتقديمـهم لجميـع الخـيرات والكرامات وتقديرها لهم لكانوا لا يسـتطيعون حيلـة ولا يهتدون سبيلا ولا يستطيعون لأنفسـهم ضـرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

ولما كـانوا يمتنعـون عـن الشـرور والقبـائح والخبائث ولوقعوا فيها وليس لهـم عنـها محيـص وهـو قول السجاد عليه السلام (من أين لي الخير يا رب ولا يوجـد إلا مـن عنـدك ومـن أيـن لي النجـاة ولا تسـتطاع إلا بك) [١] ، فبإذهاب الله الرجس عنهم وتطهيرهم أيام عصموا وطهروا .

ولولاه نعوذ بالله لما خلصوا عـن الرجـس ولما طهروا من الدنـس أبـدا ﴿ ولـولا فضـل الله عليكـم

---

(١) الاقبال ص٦٧ (دعاء أبي حمزة الثمالي)

ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ﴾ [1].

الوجه الرابع : إن الله سبحانه قادر على الأشياء يفعل ما يشاء كما يشاء بما يشاء مما يشاء على ما يشاء ، ليس فعله وقدرته أقرب من شيء دون شيء وأخص لشأن دون شأن ، ونسبة للأشياء على السوية فكل شيء يمكن بقدرته أن يكون مقارنا بكل شيء ومصاحبا مع كل شيء ومفارقا عن كل شيء ، فإذهاب الرجس عن محل وإثباته فيه وتطهيره من الدنس وإبقائه عليه لا يتفاوت بالنسبة إلى قدرته تعالى وهو على ما يشاء قدير ، فقدرته على شيء وهو مقارن .

فقدرته على شيء وهو مقارن لشيء كقدرته على قرنه به وهو مفارق عنه ، فالرجس يمكن أن يثبت عليهم - عليهم السلام - كما يمكن أن يبعد عنهم بقدرته سبحانه من غير تفاوت .

---

(١) سورة النور آية ٢١

لكنه سبحانه حكمته اقتضت أن يضع الأشـياء في مواضعها مما يناسبها ويليق بها وأن يخلقها علـى مـا هو عليه مما لها وعليها ، فأذهب الله ﷻ عنـهم بحكمتـه ما كان أمكن أن يثبت لهم بقدرته وأبعدهم وطـهرهم بفضله ورحمته عما لا يبعد أن يقرنهم بمشـيته ، وذلـك لشدة مواظبتهم واهتمامهم في مرضـات الله وصـبرهم واحتسـابهم في ذات الله ، وكونـهم في الصفـاء والاعتدال والبركة في قابليتهم والآثـار ، كمـا وصـف سبحانه ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾ [1] .

وهذان الوجهان يفهمـهما إنسـان لـه عينـان ، وهنا سر لأن يكتم في الصدر ، خير مـن أن يكتـب في السطر ، وهو ولي الأمر .

---

(١) سورة النور آية ٣٥





المقام
الرابع
في قوله تعالى
﴿ عنكم ﴾



في قوله تعالى ﴿ عنكم ﴾، حيــث أتــى بصيغــة الجمع المذكر ، والخطابات الــواردة قبــل الآيــة وبعدهــا كلها على صيغة جمع التأنيث يراد بها نساء النبي صلى الله عليه وآله ، إشارة إلى أن المخاطب هنــا غــير الــذي قبله وبعده وهو أهل بيــت النــبي لا غــير مــن النســاء ولولا إرادة ذلك وإفادته مما ذكر مــن الإشــارة مــا كــان ينبغي تغيير الأسلوب في العبارة ، وهو ما قاله زيد بــن علي بن الحسين عليهما السلام (إن جهالا من الناس يزعمون أنه إنما أراد الله بهذه الآية أزواج النــبي صلــى الله عليه وآله وقد كذبوا وأثمــوا وأيمــن الله ولــو عنــى أزواج النبي لقال " ليذهب عنكن الرجس ويطــهركن تطهيرا ، ولكان الكلام مؤنثا كما ﴿ أذكرن ما يتلى في بيوتكن ولا تبرجن ، ولســتن كــأحد مــن النســاء ﴾) هي [١] .

---

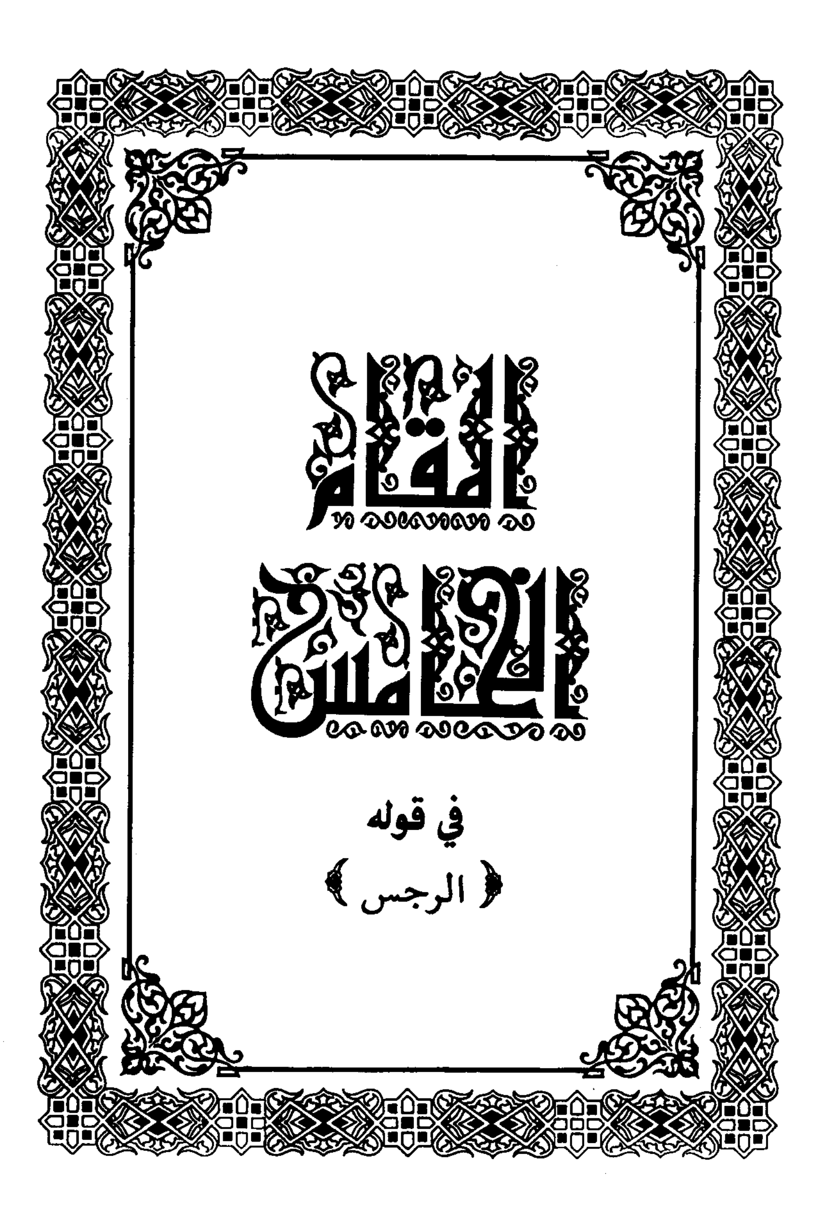
(١) البحار ج٣٥ ص٢٠٦ ر١ ب ٥

ولا شك أن فاطمة الزهراء عليها السلام إحدى المخاطبين ولا نكير له من أحد من الفريقين، فتذكير ضمير الخطاب يكون من باب التغلب كما هو الظاهر.

وفي البحار من كتاب الآل لأبن خالويه عن نافع بن أبي الحمراء.

قال: شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله ثمانية أشهر يخرج إلى الغداة أو إلى الصلاة فيمر بباب فاطمة عليها السلام فيقول (السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرا)[1].

(١) شواهد التنزيل ج٢ ص٨١



المقام الخامس

في قوله

﴿ الرجس ﴾



في بيان معاني الرجس وما يراد هنا منها في

قوله ﴿ الرجس ﴾ بالكسر : القدر ، ويحرك وتفتح الراء وتكسر الجيم ، والمأثم وكل ما استقذر من العمل المؤدي إلى العذاب ، والشك والعقاب والغضب ورجس كفرح وكرم ، رجاسة : عمل عملا قبيحا ورجسه عن الأمر يرجسه ويرجسه عاقه : القذر كل شيء يكره وتنفر منه الطباع مما يمنع من الصلاة ، وقذره الشرع من فضلات الإنسان البول والغائط والدم والمني وغيرها من الخمر والكافر والكلب والخنزير والميتة ونحوها ، أو ما يمنع منها كالوسخ الدرن في الثوب والبدن وما أشبههما ، والنتن والعرق والبخر والغمر ، وكذلك الأفعال والأعمال القبيحة شرعا من المعاصي والمآثم المؤدية إلى العذاب أو المستنكرة عرفا التي تحط بفاعلها من الإنضار وتسفل به عن الاعتبار عند أولي الأبصار ، وذلك ما في

الحديث (الماء كله طاهر حتى يعلم أنه قذر) [1] أي نجس .

وقوله ﷺ (بئس العبد القاذورة) [2] و (فإن الله تعالى يبغض من عباده القاذورة) [3] أي الذي لا يبالي بما قال وبما صنع والسيئ الخلق ، والوسخ الذي لم يتنزه عن الأقذار .

وقوله ﷺ (اجتنبوا هذه القاذورة التي نهى الله عنها) أي الزنا ونحوه من الفواحش وقوله ﷺ (لا يغسل رجليه إلا أن يقذرها) أي يكرهها وتنفر طبيعته منها ويقال رجل مقذار نجسه الناس وما يمنع الإنسان من التقرب إلى الله والقرب من رحمته وكرامته ويعوق الأعمال تصعد إلى درجة القبول ، كما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء

---

[1] الأمالي للشيخ الصدوق ص٦٤٥

[2] دعائم الإسلام ج١ ص١٢٣

[3] مكارم الأخلاق ص٤٠

ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾[1] وقرى أيضا رجس بالسين أي : لطخـه وتثبيطـه ووسوسـته ، وقيل الجنابة والعذاب ، وكان ذلك يـوم بـدر لمـا نـزل المسلمون بالعدوة الدنيا على كثيب أحمـر ترسـخ فيـه أقدامهم واحتلم أكثرهـم وليـس لهـم مـاء والمشـركون سبقوهم إلى الماء فتمثل لهم إبليس وقال تصلون علـى غير وضوء وعلى جنابة وقد عطشتم ولـو كنتـم علـى الحق لما غلبكم هؤلاء على الماء ؟ فحزنوا حزنا شـديدا فمطروا ليلا حتى جـرى الـوادي وتلبـد الرمـل حتـى تثبت عليه الأقدام وطابت النفوس وزالت الوسوسة ، فكمـا أن الجنابـة مانعـة مـن التقـرب إلى خدمــة الله والدخول عبادته من الصلاة وغيرها لا تـزول إلا بمـاء قراح خالص لا يضاف ولا يمزج ويسـتعمل علـى نحـو خاص . فكذلك السيئات والخصال القبيحة والأخـلاق الرديئة الوقيحة تمنع صاحبها أن يترقى مدارج الكمـال

---

(1) سورة الأنفل آية ١١

والوصول والحسنات أن تصعـد إلى درجة القبـول إلا برجوع منه إليه سبحانه وإقلاع خالص مقبول وذلـك يشمله قولهم : رجسه عن الأمر يرجسه ويرجسه عاقه .

وورد في القرآن على المعاني المذكورة وغيرها في مواضع منها :

الموضع الأول : قولـه تعـالى ﴿ قـل لا أجـد في مـا أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس ﴾ [١] ، أي قـذر وقد اتفق عليه المفروض ، وضمير أنـه راجـع إلى كـل واحد من الميتـة والـدم ولحـم الخـنزير وذلـك تعليـل لتحريمـها بكونـها خبـائث وأرجاسـا كمـا في قولـه ﴿ ويحل لهم الطيبات ويحـرم عليـهم الخبـائث ﴾ [٢] ، وخبائثها ليست إلا لكونها قذرة نجسة وعلـى نجاسـتها علمـاء الإماميـة فيلزمـه أن يكـون الرجـس بمعنـى "

---

[١] سورة الأنعام ١٤٥

[٢] سورة الأعراف ١٥٧

النجس " إلى معود ضمير يكون ويطعمه ، ولا خلاف في نجاسة الميتة والدم ولحم الخنزير وأن الرجس هنا بمعنى النجس .

الموضع الثاني : قوله ﷻ ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد الله أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ (١)

في الكافي والتوحيد والعياشي عن الصادق عليه السلام (إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيرا نكت في قلبه نكتة من نور وفتح مسامع قلبه ووكل به ملك يسدده ، وإذا أراد بعبد سوء نكت في قلبه نكتة سوداء سد مسامع قلبه ووكل به شيطانا) ثم تلا هذه الآية . (٢)

---

(١) سورة الأنعام ١٢٥

(٢) التوحيد ص٤١٥

وفي الكافي عنه عليه السلام في الحديث (واعلموا أن الله أنطق لسانه بالحق وعقد قلبه عليه فعمل به ، فإذا جمع الله له ذلك تم له إسلامه وكان عند الله بعبد خيرا وكله إلى نفسه فكان صدره ضيقا حرجا ، فإن جرى على لسانه حق لم يعقد قلبه عليه لم يعطه الله العمل به ، فإذا اجتمع ذلك عليه حتى يموت وهو على تلك الحال كان عند الله من المنفقين وصار ما جرى على لسانه من الحق الذي لم يعطه الله أن يعقد قلبه عليه ولم يعطه بالعمل به حجة عليه ، فاتقوا الله وسلوه أن يشرح صدوركم للإسلام وأن يجعل ألسنتكم بالحكمة حتى يتوفاكم وأنتم على ذلك) . [١]

وفي التوحيد والمعاني والعيون عن الرضا عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال (من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا وإلى جنته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون إلى ما وعده من

---

[١] الكافي ج٨ ص١٤ ر١

ثوابه حتى يطمئن إليه ، ومـن يـرد الله أن يضلـه عـن
جنته ودار كرامتـه في الآخـرة لكفـره وعصيانـه لـه في
الدنيا يجعل صدره ضيقـا حرجـا حتـى يشـك في كفـره
وعصيانه في الدنيا يجعل صدره ضيقا حرجا حتى يشك
في كفره ويضطرب من اعتقاد قلبـه حتـى يصـير كأنمـا
يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين
لا يؤمنون) هي [١] .

فتأمل في تلك الأحاديث قد فسر الرجس :

في أولها : بسواد القلب وسد مسـامعه وهـو قولـه
تعالى حكاية عنهم ﴿ وقولهم قلوبنا غلف بل طبـع الله
عليها بكفرهـم فـلا يؤمنـون إلا قليـلا ﴾ [٢] وإن الله
يوكل به شيطانا يضله ، من أعرض عـن ذكـر الرحمـن
نقيض له شيطانا فهو له قرين فساء قرينا .

---

(١) معاني الأخبار ١٤٥

(٢) سورة النساء آية ١٥٥

وفي الثاني : أن الله يكله إلى نفسه فيصير صدره ضيقا حرجا لا منقذ له أبدا كأن قلوبهم في أكنة مما يقال من الحق يصعب عليه سماعه كأنما يصعد في السماء ، ولا ينطق بالحق وإن جرى على لسانه منه شيء لم يعقد قلبه عليه ، فلم يعطه الله العمل به فيكون ذلك الحق حجة عليه ﴿ يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ﴾ [1].

وفي الثالث : فسر بالشك والاضطراب من اعتقاد قلبه بحيث لا يستقر ولا يطمئن ، لا يزال في شدة وخناق إلا أن يتوب أو يموب ، وكل من المعاني يستلزمه الآخر وكلها رجس خبيث منشأ للخبائث .

أما الشيطان فهو الغرور يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا .

وفي الدعاء إذا دخلت الخلاء تقول " اللهم أني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث

---

[1] سورة آل عمران آية ١٦٧

الشيطان الرجيم " [1] وهو الذي قال ﴿ ثـم لآتينـهم من بـين أيديـهم ومـن خلفـهم وعـن أيمانـهم وعـن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ [2] .

وأما النفس فهي أمارة بالسـوء الميالـة للبـاطل وهي ما عبد به الشيطان واكتسب به النـيران كمـا أن العقل ما عبد به الرحمن واكتسـب بـه الجنـان ، وهـي أعدى عدوك التي بين جنبيك يجب مجاهدتها أشـد مـن جهاد المشركين والكفار ، وهـي الـتي قـال فيـها النبي صلى الله عليه وآله (ولا تكلني إلى نفسي طرفـة عـين أبدا) [3] وقد وكل الله النبي يونـس إلى نفسـه طرفـة عين فلولا أن تداركه نعمة من ربه لكان من الهـالكين فهي أصل كل شرور ورأس كل ويل وثبور .

وأما الشك فينشأ عـن الريـب ويلـد الكفـر ، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام (لا ترتـابوا فتشـكوا ولا

---

[2] دعائم الإسلام ج1 ص104

[1] سورة الأعراف آية 17

[2] البلد الأمين ص3

تشكوا فتكفروا) [1] ، وقوله (إن الشك على أربع شعب : على الهول والريب والتردد والاستسلام فمن جعل المراء ديدنا لم يصبح ليله ، ﴿ فبأي آلاء ربكما تتمارى ﴾ فمن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ، ومن تردد في الريب سبقه الأولون وأدركه الآخرون وقطعته سنابك الشياطين ، ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك بينهما منَ نجى فباليقين) الحديث . [2]

فالشك والاضطراب يؤب شر مآب ، نعوذ بالله منه ونسأله طوبى وحسن مآب .

وبالجملة كل واحد منها رجس يستتبع رجسا مثله أو أشد منه من الكفر والنصب والعذاب الأبد ولعنة لا تنفذ .

والموضع الثالث : ما قاله عز من قائل ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أ فأنت تكره

---

(١) الأمالي للشيخ المفيد ٢٠٦

(٢) الخصال ص ٢٣٣

الناس حتى يكونوا مؤمنين * وما كان لنفس أن تؤمن إلا بـإذن الله ويجعـل الرجـس علـى الذيـن لا يعقلـون ﴾ [1] وهـو اللعنـة في الدنيـا والعـذاب في الآخرة ، وهم الذين نـزل فيـهم قولـه ﴿ فمـا لهـؤلاء القـوم لا يكـادون يفقـهون حديثـا ﴾ [2] ، ﴿ إن شـر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلـون ﴾ [3] ، وهو قوله عليه السلام (للناس إما عالم أو متعلـم وسـائر الناس همج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيـق) [4] هي وتلك الحالة رجس كلها تعقبها رجس أعظم منـها من اللعنة والعذاب .

الموضع الرابع : قوله عز وجل ﴿ يا أيـها الذيـن آمنـوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل

---

[1] سورة يونس آية ٩٩-١٠٠

[2] سورة النساء ٧٨

[3] سورة الأنفال آية ٢٢

[4] البحار ج١ ص١٨٨ ر٤ ب٢

الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ [1] واستدل كل من قال بنجاسة الخمر بعد الإجماع محققا ومحكيا مستفيضا بهذه الآية بمكان الرجس وهو النجس .

وهذا صريح ما رواه في الكافي عن الخيزان الخادم قال كتبت إليه عليه السلام أسئلة عن الثوب يصيب الخمر ولحم الخنزير أيصلي فيه أم لا فإن الناس قد اختلفوا فيه فقال (بعضهم أصل فيه فإن الله إنما حرم شربها ، وقال لا تصل فيه ؟ فكتب عليه السلام لا تصل فيه فإنه رجس) هي [2] .

انظر إلى قوله : فإنه رجس حيث جعل علة النهي عن الصلاة في ذلك الثوب كون الخمر ولحم الخنزير رجسين إشارة إلى أن المراد منه في هذه الآية وفي قوله تعالى أو لحم خنزير فإنه رجس النجس وأنه معناه شرعا كاللغة على أن لحم الخنزير نجس اتفاقا ومقارنة

---

[1] سورة المائدة آية ٩٠

[2] الكافي ج٣ ص٤٠٥ ره

الخمر معه في الخبر بكونها مانعين من الصلاة لأجل رجاستها دالة على أنه كلحم الخنزير وذلك رد على من زعم أن نجاسة الخمر لا دليل عليه في الكتاب.

ومثله قوله تعالى ﴿ يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ [1] حيث زعموا أنه لا يدل على الحرمة كما قال المهدي بن المنصور الدوانيقي للكاظم عليه السلام فأجابه عليه السلام إن الله يبين هنا كونه إثما، وقال عز من قائل ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ والإثم والبغي. الآية، والإثم والبغي للآية والإثم هنا هو الخمر، فقال المهدي: هذا فتوى هاشمي.

هنا شيء لا بأس أن يذكر وهو أنه لما ثبت كون الرجس في الخمر قد استعمل في النجاسة وفي أخواته في التحريم يلزمه استعمال المشترك في معنييه أو

---

(1) سورة البقرة آية ٢١٩

اللفظ في المعنى الحقيقي والمجازي معا بحيث قد أنيط لكل منهما حكمه الخاص به وتعلق لكل إثبات غير الآخر من التجنب عنه فيما يشرط فيه الطهارة كما في الخمر أو وجوب التحرز عنه فعلا من غير أن يجب غسله لما يتوقف الطهارة حصوله وذلك كما في الميسر وأخويه ، وهذا هو الذي لأجله أنكر بعض من الفحول كالمقدس الأردبيلي رضي الله عنه والصدوق دلالة على نجاسة الخمر بل إنما تدل على تحريم من دونها وإلا يلزم المحذور من استعمال اللفظ أكثر من معنى أو في الحقيقي والمجازي معا .

وأنت قد عرفت استعمال الرجس فيهما معا وعلمت بما مر من الدليل أن النجاسة مراده كالتحريم فلك أن تقول إما ببطلان هذه القاعدة من أصلها ، وتقول أنه يجوز استعمالها في المشترك حقيقة وفي الحقيقة والمجاز حقيقة ومجازا كما عليه بعض المحققين وهو الحق الذي أسسنا له رفيع القواعد ، لا يحوم حول

إنكار جاحد ، وذلك مما لا يفقد النظائر ، ولا يخفى لمن تتبع الآي والأخبار بعين الاعتبار من ذوي البصائر ، أو تقول بجوازه في المفرد مجازا وفي غيره حقيقة ، أو لا يجوز أصلا إلا أن يستعمل في معنى عام يشمل المعنيين شمول الكلي على إفراده ، وذلك العام الكلمة إما حقيقة أو مجاز وعلى التقادير كلها لا تخرج النجاسة عن الآية وما يراد منها ، بل لو تدبرت وتأملت في قوله (ح) في الخبر لاتصل فيه فإنه رجس وقوله ﷺ ﴿ أو لحم خنزير فإنه رجس ﴾ [1] ، بأنه لو لم يكن حقيقة في النجس لما ناسب تعليل النهي به ، ولا يمنع من الصلاة إلا النجس .

وكذلك في الآية قد اتفقت كلمة الأصحاب على نجاسة لحم الخنزير وعلله بقوله تعالى ﴿ فإنه رجس ﴾ أي نجس لتكون العلة تطابق معلولها

---

[1] سورة الأنعام آية ١٤٥

وإلا لتخلف عنه وذلك مما لا يجوز ، لعلمت كونه حقيقة فيه وأنه استعمل في معناه الموضوع له .

روى القمي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية (أما الخمر فكل مسكر من الشراب إذا أخمر فهو حرام وأما المسكر كثيره و قليله حرام ـ إلى أن قال ـ وأما الميسر فالنرد والشطرنج وكل قمار ميسر وأما الأنصاب فالأوثان التي كانوا يعبدونها المشركون وأما الأزلام فالقداح التي كانت تستقسم بها مشركوا العرب في الجاهلية) .[1]

وفي الكافي عنه عليه السلام :

قيل : يا رسول الله ما الميسر .

فقال : كل ما تقمر عليه حتى الكعاب والجوز .

قيل : فما الأنصاب ؟

قال : ما ذبحوا لآلهتهم .

---

[1] تفسير القمي ج١ ص١٨٠

وقوله تعالى في الآية ﴿ مـن عمـل الشـيطان ﴾ خبر ثان والخبر الأول رجس : وقد سبق آنفـا في دعـاء الخلوة (اللهم إني أعـوذ بـك مـن الرجـس النجـس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم) فيكـون بعـد ذكـره الرجس إشارة إلى أن رجسـيتها مـن جهـة كونـها مـن عمل الشـيطان ومنسـوبا إليـه وهـو أصـل الرجاسـة ومعدنها فعليكم أن تجتنبوه لعلكم تفلحون .

وتفسير ذلك قوله تعـالى بعدهـا ﴿ إنمـا يريـد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضـاء في الخمـر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتـم منتهون ﴾ .[1]

ولا يخفى عليك ما في قوله تعـالى في الآيـة مـن إجرائها بكلمة الحصر إشـارة إلى أن الأربعـة المذكـورة خالصـة ومتمحضـة في الرجسـية وكونـها مـن عمـل الشيطان وليـس فيـهما جهـة غيرهـا وإن بعضـا مـن

---

[1] سورة المائدة آية ٩١

الأشياء ما يكون مشتركا طيبا من جهة ورجسا وعملا للشيطان من جهة وأكثرها من هذا القبيل .

وأما قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان الآية يطابق على ما رواه القمي في تفسير الأنصاب بأنها الأوثان التي كان يعبدها المشركون بخلاف ما في " الكافي " فيه أنها ما ذبحوا لآلهتهم ولا منافاة لما علمت من أنه كل عمل قبيح .

الموضع الخامس : قوله تعالى ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ [1].

وقد ورد في تفسيره نتنا إلى نتنهم وكفرا إلى كفرهم أو شكا إلى شكهم ، والكل واحد لأن النتن لزيق الكفر وهو منشأه الشك في آيات الله ، والشك

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٤-١٢٥

والكفر إنما يظهران بنتن أقوالهم (أيكم زادته هذه إيمانا) [1] إنكارا واستهزاء وقولهم (هل يريكم من أحد) وتبين أفعالهم من افتتانهم في كل عام مرة أو مرتين بأصناف البليات والجهاد ومعاينة بعض الآيات وهم مع ذلك لا يتوبون ولا يذكرون .

ومن نظرهم بعضهم إلى بعض إذا ما نزلت سورة غمزا بالعيون إنكارا وسخرية أو غيظا وحنقا لما فيها من ذكر عيوبهم ومن عدم تحليهم وصبرهم على احتمالها .

ومن ترامقهم تشاورا في تدبير الخروج والانسلال إن كان ما يريهم أحد وانصرافهم وتفرقهم مخافة الفضيحة .

ومن مصروفية قلوبهم عن الحق إلى الباطل بخذلانهم واختيارهم الباطل على الحق وجعل الله على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا فإنهم قوم

---

(١) معاني الأخبار ص٩٣

لا يفقهون وذلك كله هو قوله تعالى في آخر الآية الشريفة ﴿ أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون * وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾[1].

وبالجملة أن الإيمان عبارة عن التصديق والإذعان بالقلب والجنان ، والإقرار باللسان والعمل بالأركان ، والمؤمنون إذا ما أنزلت سورة أو رأوا آية يزدادون إيمانا بالمراتب الثلاث المذكورة ويستبشرون بها فرحا وسرورا.

والتصديق يقابله الشك والريب والزيغ والوهم والكفر والإنكار .

والإقرار يقابله القول والتكلم بالمنافي وتركه في مقام يقتضيه ويقابل عدم القيام بالأوامر والنواهي

---

[1] سورة التوبة آية ١٢٦ ــ ١٢٧

والقيام بما ينافي العمل بالأركان وهذه كلها رجس يقابل الإيمان .

فالذين في قلوبهم مرض من النفاق والإنكار كلما يروا آية يزدادون رجسا إلى رجسهم ونتنا إلى نتنهم وخبثا إلى خبثهم اعتقادا وفعلا وقولا بأنهم يظنون بالله الظنونا ويظنون بالله ظن السوء ولا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم ذلكم بأنه إذا دعا الله وحده كفرتم وأن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير .

وقولهم قلوبنا غلف وأيكم زادته هذه إيمانا ، وقولهم أن الله فقير ونحن أغنياء وأنهم يقولون ما لا يفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا وأمثال ذلك مما لا يكاد يحصى من قبح سريرتهم ، وفساد فعالهم وسيرتهم ، ونتن أقوالهم القبيحة كبرت كلمة تخرج من أفواههم وأنهم ليقولون منكرا من القول وزورا تكاد

السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ومن الموارد.

الموضع السادس : قوله تعالى ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون * يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ [1].

ولا يخفى عليك ما في الآية الشريفة حيث وصفهم بالرجس وعبر به عن نفسهم ، وفي الآية السابقة إنما عبر به عن أحوالهم وأعمالهم الظاهرة منها والباطنة وما يلزمها من اللعنة والعذاب في الدنيا ويوم يقوم الحساب وذلك لما هم عليه من كونهم في ذاتهم رجسا كالخنزير والميتة والدم والخمر خالصين وملحضين في الرجسية لا تجد فيهم جهة غيرها وأنهم مجمع شقوق النفاق ومعدن الشرك والفسق والشقاق ،

---

[1] سورة التوبة آية ٩٥-٩٦

بحيث لا تقع فيهم للتوبيخ والنصح والعتاب والتأثير، ولا يقبلون التزكية أبدا ولا سبيل إليهم بالتطهير.

وهم الذين قال الله فيهم ﴿ ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ (١)، وقال ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ (٢)، ﴿ وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾ (٣)، ﴿ الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله ﴾ (٤)، ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم ﴾ (٣).

---

(١) سورة التوبة آية ٨٥

(٢) سورة التوبة آية٨٧

(٣) سورة التوبة آية ٩٣

(٤) سورة التوبة آية٩٧

(١) سورة التوبة آية ١٠١

وغيرها من الآيات التي أخبر تعالى بها عن خبث أقوالهم وأفعالهم وظواهرهم ورداءتها ونجاستها الكاشفة عن سرائرهم الناشئة عن خباثة ذواتهم وفواتحهم الظاهرة بسوء خواتيمهم لأن الفاتح عين الخاتم كما بدأكم تعودون .

الموضع السابع : قوله تعالى ﴿ قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ﴾ الآية[1].

والرجس هنا بمعنى العذاب واللعنة واضطراب القلب وارتجاسه وما ورد في الأخبار من إطلاق الرجس على النجس أكثر من أن يحصى ، ولا يخفى لمن تتبع واستقصى أن النجس من جملة معانيه الحقيقية لكنه أعم من الظاهر والباطن .

---

[1] سورة الأعراف آية ٧١

منها ما رواه في الفقيه معنعنا إلى محمد بن حمران قال ، قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إلى أن قال (وإذا دخلت البيت الثاني فقل : اللهم أذهب عني الرجس النجس وطهر جسدي وقلبي) [١] وما مر من رواية خيران الخادم لما سأله عليه السلام عن الصلاة في ثوب أصابه خمر أو لحم خنزير ؟ فقال لا تصل فيه فإنه رجس .

وصحيحه أبي الفضل البقباق قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن فضل الهرة والشاة إلى أن قال حتى انتهيت إلى الكلب فقال (رجس نجس) .

وما رواه في الاحتجاج في تفسير قوله تعالى ﴿ أ فمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ﴾ [١] في حديث قال له بعض الزنادقة : وأجد الله

---

[١] الأمالي للشيخ الصدوق ص٣٦٣

[١] سورة هود آية ١٧

يخبر نبيه شاهد وكان الذي تلاه عبد الأصنام برهة من دهره .

فقال عليه السلام وأما قوله (ويتلوه شاهد منه فذلك حجة الله أقامها على خلقه وعرفهم أنه لا يستحق مجلس النبي صلى الله عليه وآله إلا من يقوم مقامه ولا يتلوه إلا من يكون في الطهارة مثله بمنزلته لئلا يتسع من ماسه رجس الكفر في وقت من الأوقات انتحال الاستحقاق لمقام رسول الله وليضيق العذر على من يعينه على إثمه وظلمه إذا كان الله حظر على من مسه الكفر تقلد ما فوضه إلى أنبيائه وأوليائه بقوله تعالى لإبراهيم ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ أي المشركين لأنه سمى الشرك ظلما بقوله ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ فلما علم إبراهيم أن عهد الله تبارك وتعالى اسمه بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام قال ﴿ فاجتبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ ، واعلم أن من آثر المنافقين على الصادقين والكفار على الأبرار فقد افترى على الله إثما

عظيما إذ كان قد بين في كتابه الفرق بين المحق والمبطل والطاهر والنجس والمؤمن والكافر وأنه لا يتلو النبي عند فقده إلا من حل محله صدقا وعدلا وطهارة وفضلا) [1] انتهى .

عليك بإمعان النظر وأعمال الفكر فيما حازه الحديث الشريف من الرموز ، حتى لا تحرم بل تفوز بما فيه من الكنوز وفيه دلالة واضحة على ما نحن فيه حيث قارن أولا بين الطهارة ورجس الكفر وأوقع المقابلة بينهما ثم بين الكفر مطلقا هو الظلم الذي هو الشرك وقد أخبر الله سبحانه بنجاسة المشركين بقوله ﴿ إنما المشركون نجس ﴾ [2] ثم صرح في المقال بما لا يبقى للتوقف والإنكار مجال بقوله عليه السلام (إذ كان قد بين في كتابه الفرق بين المحق والمبطل والطاهر والنجس والمؤمن والكافر) [1] .

---

[1] الاحتجاج ص٢٥١

[2] سورة التوبة آية٢٨

[1] الاحتجاج ص ٢٥١

ولا شك أن المراد من الطاهر هنا هو المحق والمؤمن والصادق والبر ، ومن النجس المنافق والمبطل والكافر .

فظهر أن الرجس المذكور أولا في مقابل الطهارة لا يكون إلا بمعنى النجاسة وأن كلا منهما أعم من الظاهرية والباطنية .

وهو قوله ﷺ في بيان معنى الطاهر (أنه لا يتلو النبي عند فقده إلا من حل محله صدقا وعدلا وطهارة وفضلا) .[2]

يعني : أن الإيمان والصدق والإقرار بالتوحيد والعدل والعلم والفضل والنظافة عن الأخباث والأحداث كلها هو الطهارة ، كذلك الكفر والشرك والظلم والنفاق والجهل وللوث بالأدناس والأحداث والأخباث كلها هو الرجس فتأمل جيدا .

---

[2] الاحتجاج ص ٢٥١

فلما تبين إطلاق الرجس على النجاسات الظاهرة من البول والغائط والدم وغيرها وكونه أعم منها ومن الأعمال والأفعال والأقوال القبيحة المستنكرة وما يلزمها من العذاب والذم واللعنة واستعماله فيها لغة وشرعا في الكتاب، فوجه الدلالة في آية التطهير على ما نحن فيه من طهارة ما برز عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وما دفع عنهم البول والغائط والمني والدم وأمثالها من وجوه.

الوجه الأول : أن الرجس فيها مفرد عرف باللام ولا عهد فيحمل على الحقيقة أو الاستغراق من باب الحكمة حذرا عن الإهمال واللغوية. كما ذهب إليه المحققون من الأصولية.

وفي قوله تعالى ﴿ أحل الله البيع وحرم الربا ﴾ [1] بأن حملوا البيع والربا على الاستغراق دون الحقيقة لما قالوا أن الأحكام تتعلق

---

[1] سورة البقرة آية ٢٧٥

بالأفراد دون الماهيات ، ولا الذهني للزوم الهذرية بإرادة واحد من أفرادها من غير تعيين وهو يستلزم الإغـــراء للمكلفين على الجهل ، فلا بد أن يحمل على العموم ، أما ههيهنا فلا يجوز حمل الرجس على الآخرين لعين ما ذكر من عدم المعهودية ولزوم الهذرية وغيرهما فيحمل على الأولين وإن كان حمله على الحقيقة أولى إذ نفيــها يلزم نفي جميع الأفراد كلها وتفيد زيـادة تـأتي الإشـارة إليها إنشاء الله تعالى دون العكس فإنه لا تفيدها .

فإن قلت : إن هذا يجري فيما لو كـــان الرجـس فيما مر من المعاني حقيقة ومشتركا معنى وكانت هــي أفرادا له بخلاف ما لو كان مجازا أو مشتركا لفظا فإنه لا يصح العموم للزوم استعمال اللفظ المشـترك في أكـثر من معنى واحد أو استعماله في معنى الحقيقة والمجاز .

قلت أولا : قد تبين من قول أهل اللغة من أنــه كـل شيء قذر وعمـل قبيـح تسـتنكره العقـول السـليمة ، وتتنفر عنه الطباع المستقيمة ، بأنوار الشـريعة الغـراء

القويمة ، أنه مستعمل في المعـاني السـابقة مـن حيـث أنها موضوع لها وداخلة تحت واحدة مشتركة بينها وكل واحد منها فرد لها ومصداقها يطلق عليه الرجس علـى نحو الحقيقة ، ومن ثم لا يصح أن يقال لكل منها ليس برجس وذلك ليس إلا من جهة .

إن معنى النجاسة والقذارة موجود فيها واقعـا ، فيكون سلبها خلاف الواقع وغـير مطـابق لـه لا مـن جهة أن كل واحد من المعاني موضوع بوضع مسـتقل وإطـلاق الرجـس عليـها حيـث اشـتراكها في مسـمى الرجس لفظا كإطلاق لفظ العين وصدقها لمعانيها مـن باب عموم الاشتراك وهو ما سمي بالعين وليس للعـين معنى يشمل جميع المعـاني وأنـت خبـير بـأن الرجـس ليس كذلك . فافهم

ثانيا : أنـه قـد حقـق في محلـه بالـبراهين القطعيـة والنقلية جـواز اسـتعمال اللفـظ في معنييـه الحقيقـي والمجازي والمشترك في معانيه وأنه ظـاهر في الجميـع إلا

أن تعين القرينة فيخص نجسها فكيف إذا دلت القرينة على إرادة الجميع وهي كونه في مقام الفضل وإظهار الشرف والامتنان فلا مجال للإنكار بعد البيان .

ثالثا : قد ذكر استعماله في القرآن في المعاني الكثيرة في غير مكان كقوله سبحانه ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾ [1] وقوله تعالى ﴿ فزادتهم رجسا إلى رجسهم ﴾ [2] وقد فسر نتنا إلى نتنهم وشكا إلى شكهم وكفرا إلى كفرهم ولعنا إلى لعنهم وغيرهما من الآي السابقة ، فوجه الجواز فيها هو الوجه هنا .

ومعلوم أن الاستعمال لكونه مشتركا فيها معنى لا غير ، ولو كان من جهة أخرى فهي للجميع واحدة فجوازه في بعض دون بعض تحكم ومجازفة .

---

[1] سورة المائدة آية ٩٠

[2] سورة التوبة آية ١٢٥

الوجه الثاني : إن الآية الشريفة في مقام يريد الله سبحانه أن يمن بفضله ورحمته عليهم ويظهر جلالة قدرهم عنده وعظم شأنهم لديه وقرب منزلتهم وعلو مكانهم ومكانتهم وأن ينوه باسمهم ويرفع ذكرهم باختصاصهم بما لم يؤت أحدا من العالمين .

ولا شك أن صدور الكلام ووقوعه في معرض الفضل والامتنان من الوهاب المنان يفيد الشمول والعموم لجميع مصاديقه ومحتملاته وجهاته لا سيما في محل صفت قابليته واعتدلت جبلته وطبيعته وكملت سجيته أكمل اعتدال وصفاء ، وأتم كمال واستواء ، وذلك مما لا خلاف فيه ولا ارتياب بين الأصحاب على أن تجويز تطهير الرجس في بعض موارده دون بعض نسبة عجز ونقصان أو جهل أو بخل إلى ساحة عز ذي المن القديم ، وجناب كرم ذي الفضل العظيم ، أو نسبة نقص وانحطاط عن رتبة غاية الكمال والأتمية ، إلى حضرة من قال في شأنه خالق البرية يكاد زيتها

يضيء ولو لم تمسسه نار المشية . صلـــى الله عليـهم مـا دار الضحى والعشية .

الوجه الثالث : أنه لا نكير مـــن المسـلمين كافـة في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن الشيعة قاطبة في حق الأربعة عشر المعصومين عليهم الســلام لإرادة أكثر معاني الرجس المذكـــورة وإذهابـها عنـه في الآيـة الشريفة آية التطهير كخبث الميلاد والشك المنصوصين صريحا في تفسيرها الكفـر والنفـاق والشـرك واللعنـة والعذاب والعقاب والذنوب صغيرة وكبـيرة مـا ظـهر منها وما بطن والنتن وكلما يعوق مـــن قربـه سـبحانه وغير ذلك ، ولا خلاف في إرادة جميع معانيه الـواردة في كلامه سبحانه ، وما ذكره أهل اللغة إلا مــا يســمى في غيرهـم حدثا من البول الغــائط والـدم والمـني والميـت ستة ، بحيث لو سألتم : هـل أذهــب الله عنـهم عليـهم السلام رجس المعــاصي والذنـوب صغيرهـا وكبيرهـا ورجس الفواحش مــا ظـهر منـها ومـا بطـن ورجـس

الشرك والكفر ورجس اللعنة والعذاب وهكذا إلى غيرها من معاني الرجس ؟ ليقولون : نعم .

ولئن سألتهم هل طهرهم من رجس النجاسة والقذر وأذهبه عنهم عليهم السلام ؟ ليقولون : لا أو يسكتون ويتوقفون .

فما ندري ما سبب إنكارهم ووقوفهم ، إما عدم ظفرهم بمجيء الرجس بمعنى القذر والنجس وقد أشرنا غير مرة أنه أحد معانيه وأظهرها وأشهرها واستشهدنا على ذلك بالكتاب والسنة واللغة فما ذلك التوقف والإنكار بعد البيان إلا الضلال .

وإما أنهم عثروا على أن النجس من معانيه لكن يمنعهم عن إرادته لزوم استعمال المشترك في المعنيين أو أكثر وأنت تعلم أنه أطلق هنا وأريد منه أكثر من معنى واحد غير المتنازع بتصديق من الخصم أيضا إن لم يكابر .

فالمخلص من المحذور فيها هو الجواز هنا من غير تفاوت وقد ذكر أن الرجس مشترك معنى فاستعماله فيها ليس إلا استعمال الكلي في جزئياته أو المطلق في محتملاته فلا محذور أصلا .

نعم يمكن أن يقول الخصم أن الآية بإطلاقها أو عمومها دالة صريحة فيما نحن فيه كسائر معانيه ، لكنه خرج بالدليل من الأخبار وغيرها من القواعد ، فنقول في جوابه :

أن النزاع إنما كان في دلالته خاصة وليس مقصودنا من البسط والتفصيل ، إلا إثبات دلالتها بالدليل ، دليل المجادلة بأحسن سبيل ، ردا على من زعم أنها لا تدل على المطلوب وأما خروجه عنها وتخصيصها بسائر الأدلة لا تكاد تقف عليها والذي استدلوا به على التخصيص قاصر الدلالة لا يسمن ولا يغني من جوع .

وستر ى إنشاء الله صدق ما أقول بينا ظاهر السطوع ، بل الأخبار في خلافه جمة ، تكشف عن الأبصار ، غشاوة الغمة ، ولو لوحظت بعين الاعتبار ، ومستندهم في ذلك إطلاق ما دل على نجاسة الدم والبول والغائط ، والمني ونحوها أو عمومه ، وهذا هو العمدة والأصل في أدلتهم .

والجواب عنه على طريق المجادلة بالتي هي أحسن جريا على مذاق الخصم إن ذلك بحسب المورد مطلق أو عام بالنسبة إلى كل ذي نفس وذاك خاص فيهم عليهم السلام إذ لا خلاف في سائر المعاني في البين وإنما الخلاف فيهم عليهم السلام فيما ذكر فتكون آية التطهير فيه خاصا ومقيدا وتلك الأدلة مطلقة فيجب حملها على الآية الشريفة على ما هو القاعدة المطردة الجارية فيما بين العلماء الأبرار ، في جميع الأعصار ، من دون توقف منهم ولا إنكار .

ثم لو تنزلنا وقلنا : إن الرجس في الآية عام بالنسبة على ما ذكر من معانيه من جملتها النجاسة والأخبار بحسب المتعلق خاص في النجس فكل منهما من وجه عام وخاص من آخره فلا يصلح التخصيص إلا بمرجح غيرهما يرجح واحدا منهما كما اتفق عليه الأصولية .

فنقول : أن الترجيح في جانب الآية للروايات المطلقة الناصة في أنهم طاهرون من كل عيب ونقص ورجس ودنس وخطيئة وزلة وستأتي في تفسير قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويطهركم تطهيرا ﴾ .

والخاصة الكثيرة الواردة في مواضع متفرقة عديلة منها ما قاله الإمام العسكري عليه السلام في تفسيره (أن رسول الله صلى الله عليه وآله احتجم مرة فدفع الدم الخارج منه إلى أبي سعيد الخدري .

وقال له : غيبه . فذهب وشربه .

فقـال لـه رسـول الله صلـى الله عليـه وآلـه :
ماذا صنعت به ؟
قال : شربته يا رسول .
قال : ألم أقل لك غيبه ؟
قال : قد غيبته في وعاء حريز .
فقال رسول الله : إياك وأن تعود لمثل هذا ، ثم اعلم أن الله حرم على النار لحمك ودمك لما اختلط بلحمي ودمي . فجعل أربعون من المنافقين يهزئون برسول الله ويقولون : زعم أنه قد أعتق الخدري من النار لاختلاط دمه بدمه وما هو إلا كذاب مفتر ، أما نحن فنستقذر دمه .
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أما إن الله يعذبهم بالدم ويميتهم به وإن كان لم يمت القبط .
فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى لحقهم الرعاف الدائم وسيلان دماء من أضراسهم فكان طعامهم

وشرابهم يختلط بذلك فيأكلونه فبقوا كذلك أربعين صباحا معذبين حتى هلكوا) [1] انتهى .

ولا يخفى عليك ما في قول المنافقين : أما نحن فنستقذر دمه ، لأن استقذارهم إما لكونه مما تنفر منه الطباع من جهة أنه من قبيل الأوساخ والأدران فأي شيء أوسخ وأقذر من النجس لو فرضنا نجاسته ، وأما لكونه حراما وهو لازم للنجس لو سلم . فأي معنى لاستحقاقهم العذاب والهلاك بقولهم هذا وهم فيه صادقون غير كاذبين والنجاة في الصدق كما أن الهلاك في الكذب ؟

فعلم أن استقذارهم ليس إلا لزعمهم أن دمه عليه وآله السلام كان نجسا يستحق شاربه النار لا أنه يحرم عليها ، فمن ثم قوبلوا بقولهم هذا بالعذاب والهلاك لما افتروا على الله كذبا وكفروا به وهل نجازي إلا كفور .

---

[1] تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٤٢٠

على أن تقرير الإمام عليه السلام عمل أبي سعيد من غير رد ولا إنكار دليل صريح في جواز عمله وهو لا يكون إلا على طهارة دمه صلوات الله عليه وآله وذلك واضح بحمد الله لا سير فيه ولا عيب يعتريه.

ومثله ما روي عن الصادق عليه السلام في عطية الحجام أنه شرب دم النبي صلى الله عليه وآله، وقال له النبي صلى الله عليه وآله مثل ما قال لأبي سعيد من غير تفاوت في معناه وإن تفاوت يسيرا في لفظه.

ومنها: شربت أم سلمة زوج النبي بوله لما أمرهم بإهراقه وقوله لها: لا تعودي بمثله وما قال في نهيها أنه نجس كما في الروايتين.

ومنها ما رواه في باب أغسال الأموات ما معناه أنه لما توفى رسول الله وكان غطى بالثوب وكان أمير المؤمنين يبكي وهو واضع رأسه تحت الثوب فإذا بمناد ينادي من ناحية المسجد ارفعوا نبيكم وادفنوه بغير غسل فإنه طاهر مطهر والناس يسمعون الصوت ولا

يرون الشخص فرفع أمير المؤمنين عليه السلام رأسه من تحت الثوب وقال اخسأ يا ملعون نعم نبينا طاهر مطـهر ألا أنه أمرني أن أغسله . انتهى [1]

يعني أنه عليه السلام كان مـأمورا بتغسيله لحكمـة لا لنجاسة كما في سائر الموتى تنجس بخروج الـروح ولا تطهر إلا بالغسـل ، والحكمـة في ذلـك أنـهم عليـهم السـلام حجـج الله البالغـة والنـاس مـأمورون علـى الاتبـاع لهـم والتأسـي بـهم في أقوالهـم وأفعـالهم وتقريراتهم فلو كـانوا تركـوا الغسـل في أمثـال هـذا لكان الناس يدفنون موتاهم بغير غسل ومراد الخبيـث الرجيم ما كان إلا هـذا ، فمـن ثـم زبـره الإمـام عليه السلام فرجع خائبا خاسرا .

ويدل على ذلك رواية رواها في البحار وليست نسختها حاضرة عند الكتابة حتى أنقلها بلفظها ، نعم

---

(1) المناقب ج٢ ص٢٥١

حاصلها ملخصها أنه سئل الإمام عن النبي صلى الله عليه وآله إذا مات أليس كان طاهرا مطهرا ؟

قال : بلى طاهر مطهر .

قال : فلم غسله أمير المؤمنين عليه السلام ؟

قال : لولا ذلك لدفن الناس أمواتهم بغير غسل . هي

ومن هنا يظهر السر في غسل أبوالهم وغيرها من الغائط والمني وغيرهما ، وكذلك اغتسالهم من الجنابة وغيرها من الأغسال ، ويؤيد ذلك ما رواه المجلسي رضي الله عنه في البحار عن كتاب النوادر للقطب الراوندي بإسناده فيه عن موسى بن جعفر عليهما السلام ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال علي عليه السلام (بال الحسن والحسين عليهما السلام على ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يطعما فلم يغسل بولهما من ثوبه) هي [1] .

---

[1] نوادر الراوندي ص٣٩

والتأويل بأنه ما غسل وإن صب عليه الماء بعيد عن السياق إذ لو كان كذلك لكان الظاهر أن يقول: بل صب عليه الماء ونحو ذلك. بل الظاهر أنه ما غسله ولو صبا لكونه ليس بنجس.

(ومنها) جواز الاجتياز عليهم عليهم السلام جنبا من مسجد النبي صلى الله عليه وآله ونومهم فيه كذلك كما دل عليه الأخبار المتظافرة من الخاصة والعامة. وذلك ما رواه الصدوق في المجالس بسنده فيه عن الرضا عليه السلام قال: (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد إلا أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين ومن كان من أهلي فإنهم مني**). [٢]

---

[٢] الأمالي للشيخ الصدوق ص٣٣٤

وما رواه فيه وفي العيون عنه عليه السلام قال (قال رسول الله ألا إن هذا المسجد لا يحل لجنب إلا لمحمد وآله)[1].

وما رواه في العلل بسنده إلى أبي رافع قال (إن رسول الله خطب الناس فقال : أيها الناس إن الله أمر موسى وهارون أن يبنيا لقومهما بمصر بيوتا وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب ولا يقرب فيه النساء إلا هارون وذريته وأن عليا مني بمنزلة هارون من موسى ولا يحل لأحد أن يقرب النساء في مسجد ولا يبيت فيه جنب إلا علي وذريته)[2].

وما قال الإمام عليه السلام رواية عن آبائه عليهم السلام في حديث سد الأبواب قال (لا ينبغي لأحد مؤمن بالله واليوم الآخر أن ، يبيت في هذا المسجد

---

[1] الأمالي للشيخ الصدوق ص ٥٢٦

[2] علل الشرايع ص٢٠٢

جنبا إلا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والمنتجبون من آلهم الطيبون من أولادهم) [١] هي .

والأخبار في ذلك من الطرفين كثيرة جدا بالغة حد التواتر معنى .

فعلم من ذلك أن جنابتهم ليس كجنابة سائر الناس الموجبة للحدث اللازم عليه اجتناب الدخول في المساجد والمبيت فيها وغيرها من لوازم الأحداث ، وقد حقق في محله أن غسل الميت هو غسل الجنابة الحاصلة بخروج النطفة التي خلق منها الإنسان ، والروايات في ذلك واضحة البيان ، قاطعة البرهان ، لا تخفى للمتتبع الماهر .

وأثبتنا أن تغسيل موتاهم عليهم السلام إنما كان للتعليم والإرشاد وأن يقتدي بهم ولولا ذلك لدفن موتى الناس بلا غسل وليس تغسيلهم للجنابة وحدث الموت ، فتبين أن غسل الجنابة منهم ليس من

---

[١] تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص١٨

باب الجنابة والحدث بل للإرشاد والتأسي من الناس بهم .

وكذا حكمهم في سائر الأحداث من غير تفاوت إذ لا قائل بالفصل والفرق بين حدث الجنابة والموت وبين غيرهما من البول والغائط ونحوهما .

ولا ريب أنهم يغتسلون للجنابة ويغسلون موتاهم ويغسلون البول والغائط والدم وغيرها ، وليس يدل دليل على أن ذلك للحدث والجنابة ، بل الأدلة على أنه للإرشاد والتعليم واضحة ، كما ذكر بعض منها ومطابقة للآية في دلالتها على الطهارة ومؤيلة لها ومرجحة لمفادها من كون مدفوعاتهم وما برز وخرج عنهم نظيفة طاهرة ، وأنه سبحانه أذهب عنهم الرجس ، ومخالفة لما يدل عليه الروايات من نجاسة بول ما لا يؤكل لحمه من الحيوان له نفس سائلة وغائطة ودمه ومنيه فيكون الترجيح في جانب الآية الشريفة .

لو فرضنا أن بينها وبين أدلة النجاسة عموما من وجه لا يحمل أحدهما على الآخر إلا بمرجح، فظهر أن الآية في دلالتها على إذهاب الرجس عنهم بكل معنى يراد، خالية من وصمة الإيراد لا يعارضها معارض، ولا يتطرق عليه شوب مناقض، على أن ذلك في ظاهر الكلام: جريا على مذاق الخصم في المقام، بإبرام النقص ونقص الإبرام، وحسما لمادة القيل و القال، في أطراف المقال.

والحق الحقيق في الجواب، لمن يفهم الخطاب، ويعرف الماء من السراب، ويميز بين التبر والتراب هو أن أدلة النجاسة موضعها مما لا يؤكل لحمه لا يشملهم عليهم السلام أصلا بل لا يشمل على أفراد الإنسان فضلا عنهم عليهم السلام.

وتوضيح ذلك يحتاج إلى رسم مقدمة لا بد في إثباته من ذكرها وهي أن رتبة الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام ورتبة الأنبياء عليهم السلام ورتبة

الإنسان يعني المؤمنين ورتبة الحيوان لا تجمعها حقيقة واحدة بل لكل واحد منها حقيقة خاصة تشترك فيها أفراد كل رتبة وتصدق عليها على التواطي والمساوات ، وإنما الاختلاف والتشكيك باعتبار المشخصات والحدود الشخصية بالتقدم والتأخر والقرب والبعد وغيرها .

فحقيقة الرتبة الأولى : هي الولاية المطلقة الكبرى والعصمة الكلية الكاملة الحقيقية بحيث لا تشذ عنها جهة من جهات العصمة والطهارة وما يوجد منها في غيرهم فعنهم عليهم السلام ومن فروعهم .

وهذه الحقيقة نسبتها إلى أفرادها الأربعة عشر على حد سواء وإن كانت الأفراد متفاوتة باعتبار الأولية والثانوية بمعنى أن كل ثان بدل الأول بدل كل عن كل لا فرق بينهما إلا أن الأول مقدم والثاني تال له ، ومثله كالسراج من السراج .

والرتبة الثانية : حقيقة أهل الولاية والعصمة الكلية الإضافية نسبتها من الأولى نسبة الشعاع من المنير وإلى أهلها مراتب الأشعة بعضها إلى بعض بحسب قربها من المنير وبعدها ، وكل أحل بالنسبة إلى ما تحتها في الصفاء والكمال بمثابة لو قسم نور واحد منهم على جميع أهل الأرض لكفاهم .

ثم الرتبة الثالثة : أهلها حقيقتهم من الثانية كالنور من السراج وهي جامعة بين أفرادها ونسبتها إليها على حد سواء وإنما اختلافها بحسب الحدود والمميزات الشخصية من متممات القابلية ومكملاتها ورتبة الحيوان أنزل من رتبة الإنسان المرعية بثلاث طبقات .

ولو تصدينا إلى ذكر الأدلة العقلية والنقلية الكافية في إثبات المطلب والمرام من تعدد المراتب وترتب الذوات والحقائق لطال بنا الكلام ، وخرجنا عن مقتضى المقام ، إن اختلاف الحقائق يوجب اختلاف الأحكام فليس حكم ثبت للرتبة السافلة

الحيوان ثبت للرتب العالية المرتبة من الإنسان والأنبياء وأرباب العصمة والولاية المطلقة.

ولو أنك نظرت إلى الأخبار الواردة في بدء خلق الخلق أن أول ما خلق الله الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام وبقوا ما شاء الله يسبحونه ويقدسونه ويعبدونه ثم خلق من فاضلهم كما في رواية، ومن عرقهم في أخرى، ومن قطراتهم في ثالثة أرواح الأنبياء، ثم من أنفاسهم أو من شعاعهم على الروايتين أرواح المؤمنين.

وإلى ما ورد منها في خلق الطين أنه سبحانه خلقهم عليهم السلام من طينة مكنونة تحت العرش لم يجعل لأحد فيها نصيبا وكذا في خلق طينة الأنبياء والمؤمنين أنه يجعل لأحد غيرهم فيها شركا ونصيبا والأحاديث في المقامين كثيرة جدا.

ثم نظرت وتأملت فيما روى في بيان ظهورهم في ذلك العالم في رتبة الظهور في عالم الدنيا وهو

متظافر بل متواتر معنى من تتبع يجد صدق مـا أقـول . وهو :

إنـه إذا أراد الله أن يظـهرهم وينقـل أنوارهـم عليهم السلام إلى الأرحام أنزل الله سبحانه كأسا مـن الجنة أو ثمرة منها من تفاحة ورمانة فيشـربه أبـوه عليه السلام أو يأكل ثم يصيب من أمـه فينتقـل بـه أنوارهـم مـن صلب إلى رحم .

وفيمـا روي في خلـق أجسـاد شـيعتهم عليـهم السلام أنه يأمر ملائكته ينزلون بماء من الجنة فيمزجوه بشراب يشربه أبـوه فتنعقـد نطفتـه منـه فيجـامع أمـه فتنقل إلى رحمها فتكون منها .

وما ورد من أنه سـبحانه خلـق تحـت العـرش شجرة يقال لهـا شـجرة المـزن فتقطـر منـه قطـرات إلى البقول والثمار فما يأكلها أحد من مؤمن ومن كافر إلا ويولد منه مؤمن ، عرفت الأمر واضحا لا ريـب فيـه ، ولا شبهة تعتريه .

ثم أن حقيقة الأربعة عشر عليهم السلام غير حقيقة الأنبياء وفوقها وأعلى رتبة منها وأرفع بحيث لا يلحقه لا حق لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا مؤمن صالح، ولا فاجر طالح، ولا صديق ولا شهيد.

وحقيقة الأنبياء غير حقيقة الإنسان المؤمن أعلى وأرفع بحيث لا يلحق أحد منهم رتبة أحد منهم عليهم السلام وكذلك حقيقة الإنسان بالنسبة إلى الحيوان، نعم لكل رتبة حيوانية نسبتها نسبة الرتبة من غير تفاوت.

ليت شعري أن الرجس والنجاسة والخبث أني لها السبيل إلى ساحة عزهم ومنعتهم؟ أمن جهة أصل خلقتهم وقد خلقهم الله نورا تنورت منه جميع الأنوار؟ أم من طينتهم وهي طينة طيبة مكنونة مخزونة طينة من أعلى عليين ليس لأحد فيها نصيب؟ أم من جانب نطفة أجسادهم الطاهرة وقد علمت أنها من ماء الجنة وثمرتها؟ أو طريق أغذيتهم وأطعمتهم

وأشربتهم وذلك معلوم بالضرورة أنها طيبة طاهرة من أول بدئها ونشوها إلى أن صارت غذاء لهم عليهم السلام ما وصلت إليها أيدي الشبهات ، ولا أصابت منها أنامل التصرفات المنافيات ، بل هي حلال طيبة في الواقع والظاهر وفي نفس الأمر ، لأن الرزق من نوع المرزوق ورتبته وجزء منه وبدل لما يتحلل من المغتذى ، ولا طريق للرجس في منازلهم الباطنة ومقاماتهم المعنوية لما جعلهم الله في كل عالم سراجا منيرا وسرجا وهاجة .

ولا في مساكنهم الظاهرة إذ لا ينقلون إلا في الأصلاب الشامخة العلية الطاهرة والأرحام الطيبة المطهرة .

ولا في غذائهم في بطون أمهاتهم إذ ليس فيها لهم غذاء إلا الحكمة ، وفعلهم فيها التسبيح والذكر والتقديس وهم عليهم السلام يعلمون أمهاتهم معالم دينها ويؤنسون وحشتها بذكر أحوال ما كان ، وما

يكون وهم في بطونها ومحلهم منها ظـهورها الطيبـة لا الأرحام ومولدهم منها الجنب الأيمن لا تدري أمه مـن ولادته شيئا كما ترى الأمهات من أولادها من الطلـق والوجع إلا أن تكون يأخذها شبه الغشوة إذا هي لنـور يلمع على الأرض وهـو سـاجد ، ثـم يرفـع رأسـه إلى السماء متكلما بالشهادتين وغـير ذلـك مـن أحوالهـم حين ولادتهم .

فبالله عليك أن تنصف هل ترضـى نفسـك أو يقبل قلبك على تطرق الرجـس والدنـس والنجاسـة والخباثة إليهم بجهة من الجهات السابقة ، وقد عرفـت محلهم منها على أحسـن مـا يكـون فيـها وأعلـى مـن الشرافة والنظافة ؟

والحاصل أن الشيء المغتذى به كثافته وخبثه إما كـامن فيـه لا يظـهر إلا بعـد التعفـن التحليـل مثـل العصير العنبي لا يظهر خباثته إلا أن يغلي اشـتد أم لا ، أو هو شيء لطيف طيب ظاهرا وباطنـا لا كثافـة فيـه

أصلا إلا أن قابلية المحل يجعله منصبغا بصبغة بمجاورته أو التحليل فيه كقطر الماء الصافي كمال الصفاء النازل من السماء في الأصداف در صاف على أصله وما تـأثر من المحل إلا الانجماد ، وفي فم الأفاعي صار سما ناقعا قد غيره المحل أشد تغيير وصبغه بصبغة بحيث ما أبقى فيه من الأصل إلا الذوبان .

وقد تبين أن غذائهم عليهم السلام طيب زكي حلال ظاهرا وباطنا من بدئه إلى منتهاه ما أصابه رجس وخبث في منزل من المنازل ينتقل في الطيبات من الطيبات إلى الطيبات كأنوارهم (عليهم السلام) إذ الرزق والمرزوق من صقع واحد ، وأن قابليتهم في الصفاء والكمال والطيب واعتداد بحيث لا يحتمل الإمكان فوقه ، وكفى بقوله عز من قائل وصفا في شأنهم ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾ [1] ،

---

[1] سورة النور آية ٣٥

فهل تدري من أين جاءت تلك الرجاسة والنجاسة أو تعلم إلى ذلك من سبيل ؟

والأنبياء حكمهم في لطف القابلية وصفائها وعدم التغيير لما ورد فيها بل تفيده كمالا لم يكن قبل ورودها وفي طيب الأغذية وطهارتها مع الأربعة عشر المعصومين (عليهم السلام) حكم واحد لا يكتسب ما وصل إليهم إلا كمالا فوق كمال وبهاء على بهاء مع أن بين القابليتين في الصفاء واللطافة ، والغذائين في الطيب والطهارة ، والكمالين المكتسبين مراتب شتى ومقامات عديدة لكن حكمها فيما ذكر واحد .

وذلك ما رواه في البحار عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله لو أنك إذا دخلت الخلاء فخرجت دخلت في أثرك فلم أر شيئا خرج منك غير أني أجد رائحة طيبة ؟ قال (إنا يا معشر الأنبياء تنبت أجسادنا

على أرواح أهل الجنة فما يخرج منه شيء ابتلعته الأرض) [١] انتهى .

ثم اعلم أن الإيمان يطهر ما حل فيه وورد ويطيبه ، كما أن الإسلام يطهر ظاهر البدن من نجاسة الكفر وينظفه وكفاك شاهدا وحجة ما ورد في عرض ولاية أهل البيت على السموات والأرضين والبحار والجبال وسائر الخلقْ من جماد ومعادن ونبات وحيوان والملائكة والجن وغيرها فما قبل طاب وطهر وزكي وما أنكر خبث ونجس ونتن ، من الأخبار الواردة في تفسير قوله ﷻ ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات ﴾ [٢] الآية . وفي مواضع شتى أكثر من أن يحصى ، منها ما رواه في الاختصاص بسنده عن قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام .

---

[١] المناقب ج١ص١٢٥

[٢] سورة الأحزاب آية ٧٢

إذ دخل رجل فقال : يا أمير المؤمنين أنا أشتهي بطيخا ، قال : فأمرني أمير المؤمنين بشراء البطيخ فوجهت بدرهم فجاءونا بثلاث بطيخات فقطعت واحدة فإذا هي مرة فقلت : مرة يا أمير المؤمنين فقال : ارم به من النار إلى النار قال : وقطعت الثانية فإذا هي حامضة ، فقلت : حامضة يا أمير المؤمنين ، فقال : ارم به من النار إلى النار قال : فقطعت الثالثة فإذا هي مدودة فقلت : مدودة ، قال : ارم بها من النار إلى النار .

ثم وجه بدرهم آخر فجائوا بثلاث بطيخات فوثبت على قدمي أمير المؤمنين وقلت : اعفني يا أمير المؤمنين عن قطعه - كأنه تأشم بقطعه - فقال له أمير المؤمنين : اجلس يا قنبر فإنها مأمورة فجلست فقطعت فإذا هي حلوة فقلت : حلوة يا أمير المؤمنين فقال : كل وأطعمنا فأكلت ضلعا وأطعمته ضلعا وأطعمت الجليس ضلعا فالتفت إلي أمير المؤمنين فقال : يا قنبر إن الله عرض ولايتنا على أهل السماوات وأهل

الأرض من الجن والإنس والثمر وغير ذلك فما قبل منه ولايتنا طاب وطهر وعذب وما لم يقبل منه خبث وردى ونتن [1].

ومثله معنى ما في بشارة المصطفى بسنده إلى أبي هريرة، وما في العلل عن سليمان بن جعفر عن الرضا عليه السلام وما روي عن أنس بن مالك قال دفع علي بن أبي طالب عليه السلام إلى بلال درهما ليشتري بطيخا قال فاشتريت فأخذ بطيخة فقروها فوجدها مرة فقال (يا بلال رد هذا إلى صاحبه وأتني بالدرهم إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله أخذ حبك على البشر والشجر والثمر والبذر فما أجاب إلى حبك عذب وطاب وما لم يجب خبث ومر وإني أظن أن هذا مما لا يحبني) هي. [2]

---

[1] الاختصاص ص ٢٤٩

[2] بشارة المصطفى ١٦٧

فإذا تأملت في تلك الروايات وغيرهـا وجـدت أن مدار كل حسن وجمال ورفعة وكمال ، وصفاء وبهاء واعتدال ، هو الإيمان في كل شـيء بحسـب رتبتـه مـن الكون ، ومدار كل قبح وخبث ورجاسة ونقص وكـدر وظلمة ومنافرة ، هو الإنكار في كـل شـيء بحسبه مـن إنكاره في رتبة وجوده .

فإذا عرفت ذلك فإني لا أظنك أن تشك أنـهـم عليهم السلام سرى وجرى إيمانهم في جميـع عروقـهـم ولحومهم وعظامهم ودمائـهـم وجميـع مـا حوتـه جلـود أبدانهم وبطونهم بحيث لا نتصور شيئا من أعضائـهـم وما حوت ، وأجزائهم وما اشتملت ألا والإيمان خالطه والإقرار بمـا عـن الله مازحـة ، وإن أبيـت إلا الإنكـار والشك والريـب ، فإيـاك أن ترتـاب فتشـك فتكفـر ، وعليك بملاحظة الأخبار الواردة في هذا المضمار .

منها ما رواه ابن بابويه رضي الله عنه في أماليـه بسنده إلى جابر بن عبدالله قال : لما قـدم أمـير المؤمـنين

علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله يفتح خيبر قال له رسول الله (لولا أن يقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح بن مريم لقلت فيك اليوم قولا لا تمر بملأ إلا أخذوا التراب من تحت رجليك ومن فضل طهورك يستشفون بك ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك وإنك مني بمنزلة هارون من موسى ألا أنه لا نبي بعدي ، وإنك تبرئ ذمتي وتقاتل على سنتي وإنك غدا على الحوض خليفتي وإنك أول من يرد على الحوض وإنك أول من يكسى معي وإنك أول داخل الجنة من أمتي وأن شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي اشفع لهم ويكونون غدا في الجنة جيراني وإن حربك حربي وسلمك سلمي وأن سرك وعلانيتك علانيتي وأن سريرة صدرك كسريرتي وأن ولدك ولدي تنجز عداتي وإن الحق على لسانك وقلبك وبين عينيك ، الإيمان خالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي وأنه

لن يرد على الحوض مبغض لك ولن يغيب عنه محب لك حتى يرد الحوض معك .

قال : فخر ساجدا لله ، وقال : الحمد لله الذي هداني للإسلام وعلمني القرآن وحببني إلى خير البرية خاتم النبيين وسيد المرسلين إحسانا منه عليّ ، قال فقال النبي : لولا أنت لم يعرف المؤمنون بعلي) . هي [1]

ومثله مما صرح فيه (أن الإيمان خالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي كثير جدا) . [2]

ومنها ما في دعاء يوم عرفة عن سيد الشهداء عليه السلام وهو قوله (وأنا أشهدك بحقيقة إيماني ، وعقد عزمات يقيني ، وخالص صريح توحيدي ... إلى قوله ... وأفلاذ حواشي كبدي ، وما حوته شراسيف أضلاعي ، وحقاق مفاصيلي ، وأطراف أناملي وقبض عواملي ، ولحمي ودمي وشعري وعصبي وقصبي وعظامي ومخي

---

[1] الأمالي للشيخ الصدوق ص٩٧

[2] البحار ج٣٧ ص٢٧١ ر٤١ ب٥٣

وعروقي وجميع جوارحي ، وما انتسح على ذلك أيام رضاعي وما أقلت الأرض مني ... إلى آخر) الدعاء .

وغير ذلك من نظائرها الظاهرة في مخالطة الإيمان بظاهرهم وما حواه من اللحم والدم وغيرهما فيلزمه طهارة ذلك كله كما يلزم الإقرار باللسان طهارة ظاهرة البدن وكذا طيبه وصفاته وبهائه وغيرها من كل حسن وكمال في كل شيء منهم عليهم السلام بحسبه ومناسبته من جهات الحسن والكمال .

فمن ثم ترى أجسادهم عليهم السلام بعد مفارقة أرواحهم لا تنتن ولا تتغير بل تفوح منها رائحة المسك والعنبر ، ولا يطرئها الحدث والخبث ، بل أجسادهم طاهرة مطهرة وإنما تغسيلها للتعليم والإرشاد للعباد كما مر آنفا .

وترى أن البول والغائط منهم ذو رائحة طيبة ،

صار الأول : منها شفاء من داء العضال أن يرتد المرء من دينه ويدخل النار كما ذكر من فعل أم سلمة زوجة

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت بعد خديجة بين زوجاته أشدهن حبا لأمير المؤمنين وأنصحهن لله ورسوله والأئمة وأحفظهن وأفقههن .

والثاني : منهما صار طيبا لأهل الجنة تبلعه الأرض لهم ويناسب هنا ما رواه في البحار معنعنا إلى زيد مولى زينب بنت جحش قالت (كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم عندي نائما فجاء الحسين عليه السلام فجعلت أعلله مخافة أن يوقظ النبي فغفلت عنه فدخل فاتبعته فوجدته وقد قعد على بطن النبي فوضع زبيبته في سرة النبي فجعل يبول عليه فأردت أن آخذه عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله دعي ابني يا زينب حتى يفرغ من بوله فلما فرغ توضأ وقام يصلي) . [1]

---

[1] البحار ج٤٤ ص٢٢٩ ر١١ ب٣٠

ودلالته على وجهين :

الوجه الأول : أنه عليه السلام معلما بتعليم الله ومؤدبا بتأديبه وهو في بطن أمه فإذا وضعته على الأرض يكتب على عضده ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ﴾ [1] فلو كان بوله نجسا لكان ذلك منه منافيا لعصمته وحكمته إذ كان على سرة النبي وهي أطهر من كل طاهر وأنظف وكان منه على خلاف الأدب .

الوجه الثاني : صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه من غير غسل إذ الظاهر من توضئه هو الصلاة بقرينة قولها (عندي نائما) وقولها (مخافة أن يوقظ النبي) لا أنه التوضؤ اللغوي ، ويؤيده ما ذكر قبيل هذا من قول أمير المؤمنين عليه السلام **(أن الحسن والحسين عليهما السلام بالا على ثوب النبي وما غسله)** .

---

[1] سورة الأنعام آية ١١٥

ومن هذا القبيل عرقهم عليهم السلام ليس كعرق سائر الناس بل هو أزكى وأطيب من كل طيب .

ومما يشهد على ذلك من الأخبار ما رواه في البحار في تزويج فاطمة عليا عليهما السلام وهو طويل إلا أن موضع الحاجة منه : أن النبي ﷺ بعد وليمة العرس ثلاثة أيام يأكل منها رجال المدينة وهم أكثر من أربعة آلاف رجال ونساء ولم ينقص منها شيء وكان شيئا يسيرا من الزاد أمر نسائه أن يزينّ فاطمة عليها السلام ويصلحن من شأنها في حجرة أم سلمة فاستدعين من فاطمة عليها السلام طيبا فأتت بقارورة فسألت عنها فقالت (كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول لي يا فاطمة هات الوسادة فاطرحيها لعمك فكان إذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه فسأل رسول

الله صلى الله عليه وآلـه عـن ذلـك فقـال : هـو عنـبر يسقط من أجنحة جبرائيل .

وأتت بماء ورد فسـألت أم سـلمة عنـه فقـالت هـذا عـرق رسـول الله كنـت آخـذه عنـد قيلولـة النبي عندي)[1] هي .

وغيره في ذلك كثير تركته حذرا من التطويل .

وكذا ترى دمائهم يتبرك بها الرجال كمـا فعـل أبو سعيد الخدري والحجام عطية .

وكما لطخ النبي صلى الله عليه وآله جبينه بـدم الحسين عليه السلام وفاطمة عليها السلام وأولو العـزم مـن الأنبياء الذين كانوا معه كما في رواية جمال والطرماح ، وليس ذلك لأنه دم شهيد إذ دمه نجس يغسل إن أصاب بدن الغير وثيابه وإن كان الشهيد يدفن به ، بـل لأنـه طاهر تخضبوا به وصعدوا إلى مقـام القـرب والقـدس

---

[1] المناقب ج٣ ص٣٥٤

ومحل الكرامة والإنس، وسيلة للشكوى وتقربا به إلى الله زلفى.

أما سمعت ما فعل أمير المؤمنين (عليه السلام) لما ضرب في أم رأسه في محراب المسجد الأعظم للكوفة بسيف أشقى الأشقياء المرادي (عليه لعائن الله ما دام في العالم رائح وغادي) حيث كان يأخذ التراب منه ويضعه على رأسه تجفيفا لما عليه من الجراحة للدم، هل ترى أنه (عليه السلام) نجس تراب المسجد وثراه ورجسه أم كان الدم طاهرا لا يلوث ما أصابه من تراب المسجد وغيره؟ فاختر لنفسك ما يحلوا من الأول المحرم على المكلفين أجمع، والمنافي لقواعد الإيمان والديانة فضلا عن العصمة والإمامة، أو الثاني المطابق لما قامت عليه الملة والشريعة.

ومثله ما ورد: أن ليس على وجه الأرض مسجد إلا وفيه قطرة من دم المعصوم (عليه السلام)، ومن ذلك صار أفضل من سائر البقاع أن يصلي ويناجي

فيه وأكرم من أن يدخل جنب أو نجس وصار خاصا لله سبحانه ﴿ وإن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا ﴾ [1].

والمساجد بيوتي طوبى لعبد تطهر في بيته وعبدني في بيتي.

ولا يخفى عليك أن ما ذكرنا إنما كان على طريق المجادلة بالتي هي أحسن جريا على ما هو الغالب بين العلماء من الدأب والديدان مذبلا له الموعظة الحسنة.

فلا بأس أن نختمه بدليل الحكمة الآية المحكمة إتماما للنعمة وليرد كل مشربه، وينال مأربه، ولنقصر هنا على إيراد وجهين من وجوهه حذرا من الخروج عما نحن فيه ووفاء لما وعدناه، في صدر الرسالة واشترطناه.

---

[1] سورة الجن آية ١٨

الوجه الأول : إن الأربعة عشر عليهم السلام حجج الله بهم على كل ما ذرأ وبرء من الدرة إلى الذرة ، وهو قوله عز من قائل ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾[1].

و قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته يوم الغدير في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم (استخلصه في القدم على سائر الأمم على علم منه انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس وانتجبه آمرا وناهيا عنه وأقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه ...إلى قوله عليه السلام في وصف العترة الطيبة عليهم السلام ... ثم اختص لنفسه من خلقه بعد نبيه خاصة علاهم بتعليته وسما بهم إلى رتبته ... إلى أن قال ... خلقهم الله أنوارا أنطقها بتحميده وألهمها بشكره وتمجيده

---

[1] سورة الفرقان آية ١

وجعلها الحجج على كل معترف له بملكه الربوبية وسلطان العبودية) [1] الخطبة .

ولا شك أن جميع الخلق من ذات وصفه ومعنى وصورة وجوهر وعرض مقر ومعترف بربوبيته ﷻ ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ [2] وداخل تحت سلطنة العبودية وهو القاهر فوق عباده والقائم على كل نفس بما كسبت وإن كل شيء أمة من أمم وهو قوله سبحانه ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ [3] الآية . وقوله في قصة يوسف ﴿ وقال الذي نجى منهما وادكر بعد أمة ﴾ [4] أي بعد زمان وقوله تعالى ﴿ إنا وجدنا آبائنا

---

(1) مصباح الكفعمي ٦٩٥

(2) سورة الاسراء آية ٤٤

(3) سورة الأنعام آية ٣٨

(4) سورة يوسف آية ٤٥

على أمة وإنا على آثارهم مهتدرن ﴾[1] أي على طريقة وملة .

فمعنى قوله عليه السلام (استخلصه في القدم على سائر الأمم) أي المخلوقات من غيبها وشهودها وجوهرها وعرضها وذاتها وجعله في جميع ذلك نبيا وحجة يأمر وينهى عنه قائما في الأداء والتبليغ مقامه ، أمره الله ونهيه نهي الله وفعله فعل الله وطاعنه ومعصيته ورضاه وسخطه وغيرها كذلك .

ونحو ذلك ما رواه في البحار عن زرارة بن أعين قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يحدث عن آبائه عليهم السلام إن مريضا شديد الحمى عاده الحسين عليه السلام فلما دخل من باب الدار طارت الحمى عن الرجل .

فقال له : رضيت بما أوتيتم به حقا والحمى تهرب عنكم .

---

[1] سورة الزخرف آية ٢٢

فقال الحسين عليه السلام : والله ما خلق الله شيئا إلا وقد أمره بالطاعة لنا .

فقال : يا كباسة .

قال : فإذا نحن نسمع الصوت ولا نرى الشخص .

يقول : لبيك .

قال : أليس أمير المؤمنين عليه السلام أمرك أن لا تقربي إلا عدوا أو مذنبا لكي تكوني كفارة لذنوبه ، فما بال هذا ؟

فكان المريض عبدالله بن شداد الهادي الليثي) [1] .

هي ، وأمثاله من الأخبار كثيرة جدا .

فلما علم أن الإمام حجة الله على جميع الورى فاعلم أن الإمام يجب أن يكون أشرف وأكمل وأعلى في كل جهة من جهات الحسن المنتشرة في أنواع البرايا وأصنافها وأفرادها محجوبة به عليهم السلام المأمورة بالطاعة له الاقتداء بهداه ، والإئتمام به فيما أمره ونهاه

---

[1] البحار ج٤٤ ص١٨٣ ر٨ ب٢٥

، بحيث لا تجد صفة كمال عند أحد من خلقه سبحانه إلا وهي في الأمام أكمل وأعلى إذ هو الحجة في جميع ذلك والحجة لا يكون إلا أن يغلب على المحجوج في كل ماله من جهات الحسن وصفات الكمال لتكون الحجة بالغة .

ومعلوم أن في المكلفين من هو طاهر العين وما يخرج منه من البول والغائط كالشاة والبقر والإبل وأمثالها والطيور كلها عند بعض ، وما هو طاهر مطلقا حيا وميتا كالسمك والخنفس ونحوها مما ليس له نفس سائلة فإنها طاهرة في حياتها ولا تنجس بالموت وفضلاتها من الدم وغيره كذلك .

ومنهم من عينه طاهرة من دون مدفوعه كالأرنب والثعلب ونظائرها مما لا يؤكل لحمه ، ومنهم ما يشفي مدفوعه كبول الإبل وما يخرج من بطون النحل .

فلو كان شيء مما ينسب إلى الإمام نجسا نعوذ بالله لا تؤم حجيته ويمكن أن يقول أحد المكلفين على الإمام : إني أشرف منك ، بولي وغائطي أو دمي طاهر دونك .

أو يقول : إن ما يخرج مني شفاء ودواء ولو كان في بعض وليس كذلك ما يخرج منك فيكون مفحما في الجواب ومغلوبا في الخطاب ، مع أن الحق يعلو ولا يعلى عليه ، كيف وليس لأحد فيهم مغمز ، ولا لقائل فيهم مهمز ؟

وقد أوضحوا عن هذا الإبهام فعلا ، مضافا على القول ببول الحسين عليه السلام على جسد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما كان غسله بل صلى معه وتشرب أم سلمة بوله وأبو سعيد والحجام دمه ولم يكن تعرض عليهم بشيء إلا بقوله (ولا تعودن إلى مثله) ثم قال (إن الله حرم لحومكم على النار إذ خالط دمي) إشارة إلى أنه طاهر وشفاء عن الأمراض

الباطنة السالكة بصاحبها إلى النار فضلا عن الظاهرة ، كيف وقد شرب أمير المؤمنين عليه السلام ريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورغوة فمه حين احتضاره وقال انفتح لي ألف باب من العلم ومن كل باب ألف باب ؟ أ فترى أنه لو كان حراما ريق أحدهم على غيره كريق سائر الناس كان علما ونورا حاشاهم ، فإن الإمام عليه السلام (أجل من أن يقاس بسائر الناس ، انفرد عن التشاكل والتماثل من بني الأجناس) .

ولما كانت أيام نبينا زمان ظهور للحق وبيان للصدق الواقع في الجملة أظهر أمثال ذلك تنبيها للغافلين ، وإرشادا للناظرين ، فلما انتقل من دار الفناء والعناء إلى دار البقاء عليه وعلى آله الصلاة والثناء من الملك الأعلى ، مد الجور باعه وأسدل الظلام قناعه وأرسل الظلم اتباعه ترى الأئمة عليهم السلام لم يظهر منهم أمثاله إلا بطريق الحكاية والنقل لقول النبي صلى الله عليه وآله وفعله مع أنه قد ملأ

الأصقاع ، وأوقر الأسماع قولهم أن كل واحد منهم نفس النبي وأن أرواحهم ونورهم وطينتهم واحدة ولا فرق بينهم وبينه إلا في خصائصه المعروفة في السنة العلماء المسطورة في كتبهم وأمثال ذلك ليست منها وأنهم في غيرها معه على السواء .

وتراهم عليهم السلام لا يتكلمون في هذا المقام ونظائره إلا بالإشارة من وراء حجب العبارة ، ويعاملون مع الناس على مقتضى الدولة الباطلة قد حجبت الأبصار والبصائر ظلمته ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يريها .

فمن لم يجعل الله له نورا يهتدي به إلا أمامه فماله من نور ولا يظهرون الحق الصراح ويستخفونه حفظا للتقية وخوفا من فرعون وملأه على أنفسهم وشيعتهم ومحبيهم وذلك أصل كل بلية ﴿ إن فرعون

علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبنائهم ويستحيي نسائهم ﴾[1].

اللهم زخه مد شمال قدرتك حتى ترضى يمين قدرتك وعجل فرج وليك ومكن له في الأرض، حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق.

الوجه الثاني : وهو أعلى من الأول وأدق وهذا إن منشأ الحسن والقبح والطهارة والنجاسة والنظافة والخباثة والصفاء والكدورة وغيرها من مقابلات الخير والشر والسعادة والشقاوة كلها ولايتهم عليهم السلام من حيث قبولها وإنكارها وإقبالها وإدبارها فما قبل ولايتهم طهر وطاب وزكى وصفى ولطف ولمع ونفع واعتدل وجل وصار أهلا للخير والنور على حسب قبوله، وما لم يقبل وأدبر وأنكر وخبث ونجس ونتن وكدر وكثف وأظلم وضر واعوج ومال مفرطا أو مفرطا ودنى وصار أهلا للشرور والنقصان بحسب

---

[1] سورة القصص آية ٤

قبوله في الإدبار والإنكار ، فما سمعت أو وجدت أو رأيت من صفاء وبهاء وسناء واستقامة وكمال وجمال وحلاوة ونحوها ونظافة وشرافة وطيب وطهارة وغيرها مما يعد كمالا وفقدانه نقصا كلها منهم عليهم السلام وبهم ولهم وإليهم وأثر ولايتهم وفرع محبتهم وفاضل هيئة كمالها وأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم ، فالحلاوة في العسل والسكر رشح وحكاية من حلاوة أفعالهم ، وما كانت إلا بقبول ولايتهم ، والصفاء الذي في الماء والبلور والألماس فاضل صفاء أعمالهم ، وكذلك لطف الهواء وطيبه وعلو الأفلاك وسرعة سير العرش أثر لطافتهم وطيبهم وعلو قدرهم وسرعة سيرهم وحركتهم في طاعة الله .

وكذلك شرافة الشرفاء وسعادة السعداء ونظافة النظفاء وعظمة العظماء وطهارة الأطهار وكل ما هو كمال في شيء حكاية وما فيهم وأثر من آثارهم .

وأضداد ما ذكر مما يعد نقصا وفقدانا ووجدانه كمالا أثار صفات أعدائهم وأضدادهم في كل رتبة من مراتب الوجود من الجماد والنبات والحيوان والجن وغيرها.

ولا ريب أن الخباثة والرجاسة والنجاسة ظاهرا وباطنا من صفات النقص الحاصلة من أعراض قبول ولايتهم وإنكارها الدالة على رذالة ودناءة موصوفاتها ومحالها وأضدادها دالة على شرافة محالها وموصفها حاصلة من مقابلتها لفوارق نور الطهارة والنزاهة فكيف يجري عليهم ما هم أجروه يفاضل إشراقهم على حسب تفاوت قابليات القابلين إقبالا وإدبارا وقبولا وإنكارا ؟

فهم أجروا الطهارة والكمال بإشراقهم في كل طاهر وكامل بقبوله وعلى قدر قبوله، وأجروا الرجاسة والنقص بإشراقهم في كل خبيث وناقص بعدم قبوله وإعراضه وإدباره عنه، مثاله كالجدار

المشرقة عليه الشمس قد أنارت بإشراقها منه ما قابلها وأقبل إليها، وأظلم منه بإشراقها ما قابلها وأدبر عنها من الجانب الآخر ﴿ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ [1] فلا يجري على الشمس ما هي أجرته بإشراقها من الظلمة عن الطرف الآخر، فإن قلت :إن النور من الطرف المقبل لها من الجدار هو أيضا جار بإشراقها فكيف يجري عليها ؟

قلت كما جرى بإشراقها ووجد من النور والظلمة لا يجري عليها أبدا إذ النور هذا ضد للظلمة قائم بإشراقها وفعلها والنور الذي في نفس الشمس لا تقابله الظلمة ولا تضاده وهو قائم بنفس الشمس وذاتها لا بفعلها.

وكذلك الإمام عليه السلام فإن الطهارة والنجاسة والكمال والنقص قائمان بفاضله في كل شيء بقبوله

---

[1] سورة الحديد آية ١٣

إقبالا وإدبارا ، فلا يجري عليه ما هو أجراه ، ولا يصل إليه بفعله وفاضله أظهره وأبداه والطهارة التي فيه لا تقابلها الرجاسة والنجاسة إلا باعتبار الإمكان من جهة قدرة الله تعالى لا من جهة الحكمة ، وقد أجرى سبحانه أفاعيله بحسب الحكمة لا القدرة ، فطهارته عليه السلام لا تقابله الرجاسة وكماله لا تقابله النقص ، فكلما تجده عندك من كمال يوصف به الإمام عليه السلام إذ كان حكاية ووصفا وأثرا لكماله ، ومع ذلك يجب عليك تنزيهه عن ذلك الكمال لأنه أثر كماله والأثر يشابه صفة مؤثره من حيث التأثير لا ذاته ، فافهم إن كنت تفهم وإلا فأسلم تسلم .

ولولا ما وعدناه في صدر الكتاب من الاختصار وعدم التطويل والإطناب ، ببنان الأقلام ، في ذكر الأدلة في هذا المقام العجب العجاب ، وكفى بذلك دليلا قول الإمام عليه السلام (إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله

وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه) [1] وقوله (طأطأ كل شريف لشرفكم) [2] فما رأيته عند أحد من طهر وقدس ونزاهة فهو شريف عند فقده ، وكذلك كون الشيء واسطة الشيء في ذاته وصفاته وما ينسب إليه شرافة فائقة على من يفقدها ، وكذلك كونه محتاجا إليه أشرف من المحتاج ، وهكذا في الصفات الحسنة والأخلاق الحميلة والآثار المستطابة عند الإفهام .

فكل ذي شرافة بصفة وخلق وفعل مطأطئ ومطامن رأسه خاضعا ذليلا عند شرفكم ، إذ هو يرى شرفه في شرفهم لا ينبغي أن يذكر وينظر إليه لقصوره ونقصه ولعدم جامعيته ، لأن ما عنده من الشرافة في شرافتهم كالقطر في البحر ، والذرة في القفر ، وما عنده فرد من نوعها وجنسها وحقيقتها الجامعة لكافة شواذها وشواردها ونوادرها عندهم بحيث لا يشذ عنها

---

(١) الزيارة الجامعة .

(٢) الزيارة الجامعة .

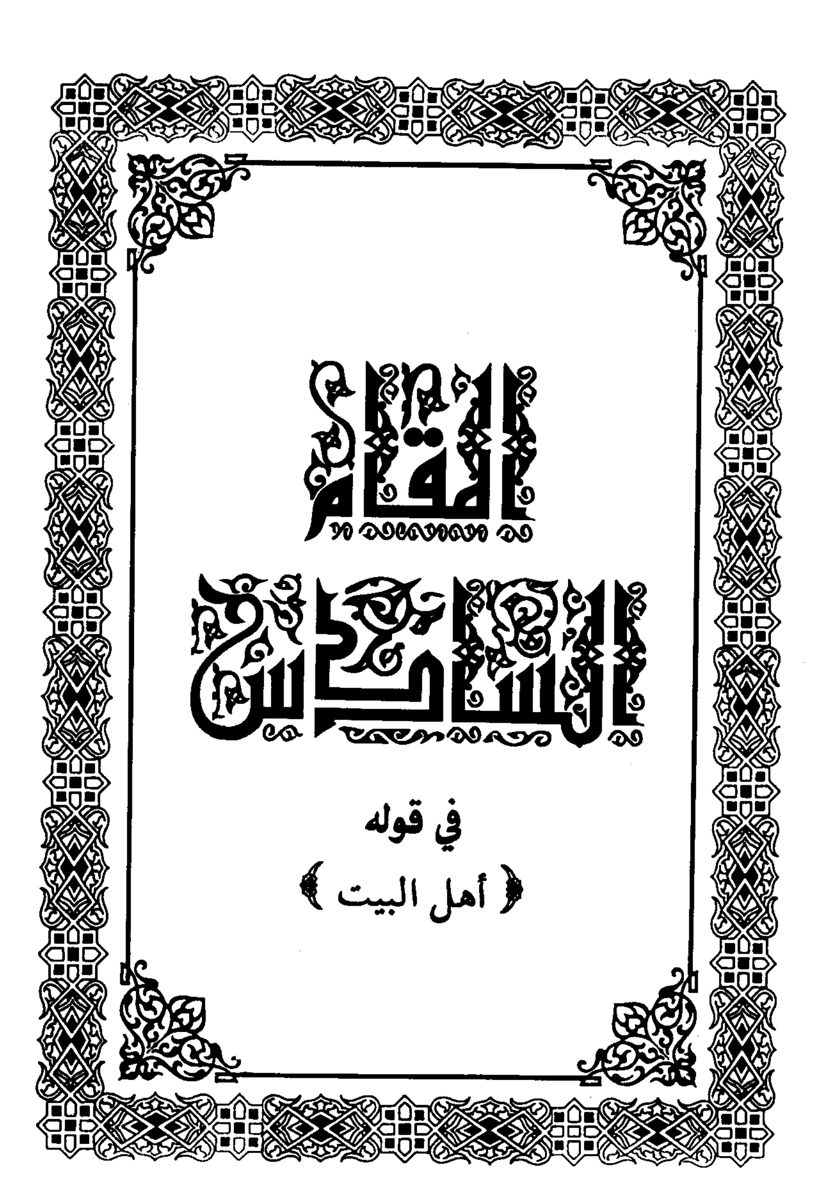
جهـة مـن جهاتـها إلا وهـي عندهـم ، ولأن مـا عنـده استأهله وما وصلـه إلا بـهم عليـهم السـلام وبحبـهم وقبول ولايتـهم ، ودائمـا فيـه محتـاج إليـهم ، وهـم لا يحتـاجون فيمـا لهـم إلا إلى الله عزّ وجلّ ، وذلـك فخرهـم وعزهم وشرفهم كل الشرف نعـم الشـرف لا يدانيـه شرف (الفقر فخري وبه أفتخر) [1] وغير ذلك مـن جهات تواضع أرباب الشرف وتذللهم لشرف الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام لو أردنـا بسـطها لتـم كبير مجلد قبل أن تعد وتنفذ ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ [2] فتدبر .

---

[1] البحار ج٧٢ ص٣٠ ر٢٦ ب٩٤

[2] سورة إبراهيم آية ٣٤





المقام السادس

في قوله

﴿ أهل البيت ﴾



فيما نصب قوله سبحانه ﴿ أهل البيت ﴾

واعلم أنه اتفق القراء على نصب الأهل في هذه الآية ، وأكثرهم أنه هنا على الاختصاص نظير قوله عليه وآله السلام (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) [1] وابن هاشم أن نصبه على أنه منادي والاختصاص لا يكون إلا بعد ضمير التكلم ، والفرق بينهما معنى أن أهل البيت مصرح عليهم بإذهاب الرجس عنهم وطهارتهم وغيرهم مسكوت عنه النداء ومسلوب عنه ومقطوع على عدم طهارته على الاختصاص بأن التطهير بهم عليهم السلام دون الغير ، وهو هذا الذي تفيده الأخبار وترجحه وهو الحق كما سيظهر لك ، مع الأنبياء عليهم السلام معصومون مطهرون من الرجس والدنس ومن الفواحش ما ظهر منها وما

---

[1] البحار ج٢٨ ص١٠٤ ر٣ ب٣

بطن وكذلك الملائكة ، فكيف التوفيق ؟ وأجيب بأن الحصر إضافي بالنسبة إلى بني آدم وإلى قوم النبي وأمته .

أقول : والحق أن الأنبياء والرسل والملائكة كلهم رعايا وأمة مأمورون بأمر الأربعة عشر الطاهرين عليهم السلام عاملون بأحكامهم وما خلق شيء إلا وقد أمر بالطاعة لهم ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾[1] .

وسيظهر الأمر ويرتفع الالتباس في كرتهم وظهور دولتهم إنشاء الله حين رجوع الأنبياء كلهم تر لهم حكاما وقواما في أطراف الأرض يعلمون الناس شرائع الإسلام وقواعده ، يأمرون الناس بأمرهم عليهم السلام ويأتمرون به ، ليس هناك دين إلا دينهم ولا شرع إلا شرعهم ولا آمر وناه وحاكم وداع إلا هم عليهم السلام أو عنهم ، والختم آية الفتح ودليله

---

[1] سورة آل عمران آية ١٩

(بكم فتح الله وبكم يختم) [1] (الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل والمهيمن على ذلك كله) [2] ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ [3].

نعم في رجعتهم يرتفع السحاب ، ويرفع الحجاب ، ويكشف عن حقيقة الأمر شيئا فشيئا ، وفي الأول لضعف بنية العالم وأهله كان من وراء السحاب ، فعليك بملاحظة قوله عليه السلام في حديث النور (أنا الذي أنتقل في الصور كيف أشاء من رآني فقد رآهم ولو ظهرت للناس على صورة واحدة لهلك في الناس وقالوا لا يزول ولا يتغير) الحديث .

وغيره حتى يظهر لك الأمر ويزول الإشكال ، ولكن الجواب عن الإيراد بوجوه :

الوجه الأول : الاختصاص إضافي فيما بين أفراد البشر إنهم هم الذين أذهب الله عنهم الرجس

---

[1] الزيارة الجامعة الكبيرة .

[2] الزيارة الجامعة الكبيرة

[3] سورة الأعراف آية ٢٩

وطهرهم تطـهيرا دون سـائر النـاس ، كمـا في بعـض الأخبار في أصحاب الكساء وما كان معهم تحته سـادس من البشر ، وفي آخر وهو طويــل ، بقـول الله سـبحانه (يا ملائكي وسكان سماواتي ما خلقت سماءا مبنيـة ولا أرضا مدحية ولا فلكا يدور ولا فلكـا يسـري ولا بحـرا يجري إلا لأجل هؤلاء الذين هم تحت الكساء . قالوا يا رب من الذين هم تحت الكساء ؟ قال الله تعـالى : هـم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها ، وقال جبرائيل : أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض فأكون لهم سادسـا ؟ قـال : أذنـت لك فنزل جبرائيل عليه السلام وسلم إلى أن قـال : إن الله قـد أذن لي أن أكون لكم سادسا أتأذن لي أن أدخـل معكـم تحت هذا الكساء فأكون لكم سادسا ؟ قـال : نعـم قـد أذنت لك فدخل معــهم تحـت الكسـاء وقـال : إن الله يقرئك السلام ويخصــك بالتحيـة والإكـرام ويقـول :

﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم ... ﴾ الآية [١] إلى آخر الحديث .

وفي علة منها إن أم سلمة أرادت أن تدخل معهم فلم يأذن النبي لها وقال إنك من خير وإلى خير ، وفي رواية قال جبرائيل وإنا منكم يا رسول الله قال أنت منا . هي

فظهر أن الحصر بالنسبة إلى نوع البشر ، أما الملائكة فلا شك أن لهم عصمة وطهارة لكن بين الطهارتين مراتب عديلة وأيضا أن التخصيص بالإضافة إلى أهل عصره ومن بعده إلى آخر الدنيا فلا ينال في طهارة الأنبياء عليهم السلام وهذا الجواب ظاهري إقناعي .

الوجه الثاني : إنه اختصاص حقيقي بحيث لا يشذ عنه فرد وشيء من أحاد الخلق بشرا كان أو غيره من ذي روح وغيره مجردا أو ماديا .

---

[١] حديث الكساء .

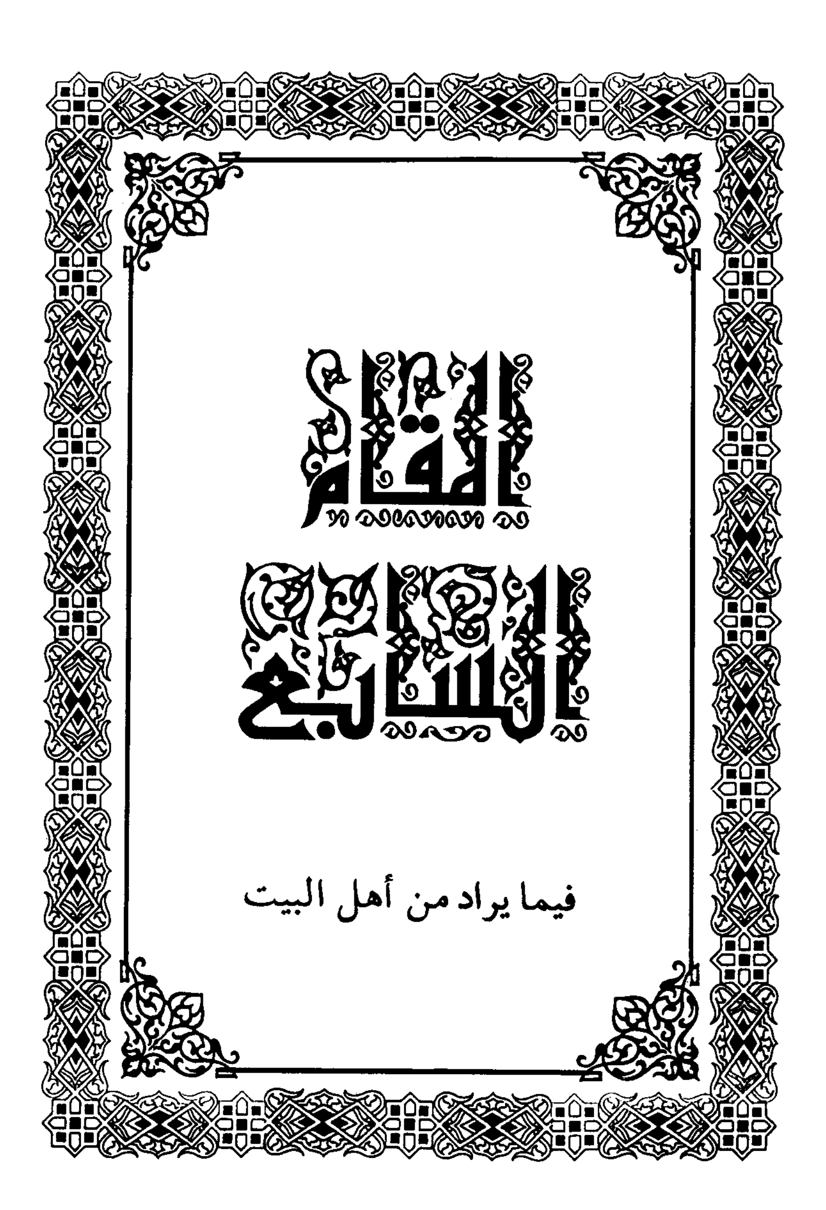
يعني أن الطهارة الحقيقية المؤكدة من الله سبحانه بهذه التأكيدات الأكيدة والتلويحات البالغة الشديدة من الكلمة ﴿ إنما ﴾ والجملة الفعلية المفيدة للتجدد ، والمستقبلية الصريحة في الدوام ، وتكريرها ثلاثا وتأكيدها بقوله ﴿ تطهيرا ﴾ التي تكشف أنها ما به اعتناء ونظر من الله سبحانه كما اعتناء وحق نظر وإنها طهارة ليس فوقها طهارة في الإمكان خاصة بهم عليهم السلام إذ لو كانت فليس لها محل دونهم عليهم السلام إذ ليس ولا يكون مخلوق أعلى منهم أو يساويهم وما يوجد في غيرهم فهي دونها على حسب رتبته من الكون .

الوجه الثالث : إن كلما استحق شيئا من النظافة والطهارة والكمال والشرافة فهو داخل في بيتهم عليهم السلام ، فعلى قدر قبول ولايتهم دخل في بيتهم وعلى مقدار دخوله استأهل كمالا ، ومن دخله كان آمنا .

فمن قبل في ذاته وباطنه وظاهره وإعراضه ، وقابل في باطنه دون ظاهره وبالعكس وفي ذاته دون صفاته وإعراضه وبالعكس ، وذلك هو السبب في اختلاف الأشياء كونا وشرعا ذاتا وصفة ، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام (فإن الدهر فينا قسمت حدوده وعلينا أخذت عهوده ولنا برزت شهوده) فكل جمال ترى أو تسمع فهو لهم قد اتخذوا الجميل بيتا له بقبوله وأودعه فيه نعم ما قيل :

فكل جميل حسنه من جماله   معار له بل حسن كل مليحة

وسيأتي لهذا مزيد بيان فترقب .



المقام السابع

فيما يراد من أهل البيت



لا يخفى عليك أن المراد من أهل البيت في الآية الشريفة الأئمة الاثنا عشر والصديقة صلوات الله عليهم بنص الروايات المتواترة معنى ، مضافا إلى اتفاق الخاصة ، وكثير من العامة من رواتهم ، والمسألة لغاية وضوحها وشدة اشتهارها قد استغنت عن تجشم الاستدلال ، والإطناب في المقال ، إلا إني أورد نبذا من الأحاديث لشمولها على مطالب لا ينبغي أن تخفى منها

ما رواه ابن بابويه بإسناده عن عبدالرحمن بن كثير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ما عنى الله عز وجل بقوله ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ ؟ قال (نزلت في النبي وأمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام فلما قبض الله عز وجل نبيه كان أمير المؤمنين إماما ثم الحسن ثم الحسين ثم وقع تأويل

هذه الآية ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾)[1].

وكان علي بن الحسين إماما ثم جرت في الأئمة من ولد الأوصياء فطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم الله عَزَّ وَجَلَّ.

وما رواه في العيون بإسناده عن الريان بن الصلت عن الرضا عليه السلام في حديث المأمون والعلماء وسؤالهم الرضا عليه السلام في الفرق بين آل رسول الله صلى الله عليه وآله والأمة فكان في الحديث:

(قال: فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم.

فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟

فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله

---

[1] علل الشرائع ٢٠٥

وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما ﴿ يا أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم ﴾ ، والحديث قالت العلماء فأخبرنا هل فسر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب ؟

فقال الرضا : فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطنا فأول ذلك قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك المخلصين ﴾ .

هكذا في قراءة أبي بن كعب وهي ثابتة في مصحف عبدالله بن مسعود وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال عنى الله بذلك الآل فذكره رسول الله فهذه واحدة .

والآية الثانية في الاصطفاء قول الله ﷻ ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ ، وهذا الفضل الذي لا يجهله أحد إلا

معاندا إضلالا منه فضل بعد طهارة تنتظر وهذه الثانية) الحديث .[1]

ومنها ما رواه محمد بن يعقوب بسند إلى ابن مسكان عن أبي بصير :

قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ .

فقال : نزلت في علي ابن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام .

فقلت له : إن الناس يقولون فما له لم يسم عليا وأهل بيته في كتاب الله عز وجل ؟

فقال : قولوا لهم إن رسول الله نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثا ولا أربعا حتى كان رسول الله هو الذي فسر ذلك لهم ، ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهما درهما حتى كان رسول الله هو

---

[1] الأمالي للشيخ الصدوق ٥٢٢

الذي فسر ذلك لهم ، ونزل الحج فلم يقل لهم طوفوا سبعا وكان رسول الله هو الذي فسر لهم ذلك ، ونزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم نزلت في علي والحسن والحسين .

فقال رسول الله في علي : من كنت مولاه فعلي مولاه .

وقال : أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي فإني سئلت الله ﷻ أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك .

وقال : لا تعلموهم فهم أعلم منكم .

وقال : إنهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوهم في باب ضلالة .

ولو سكت رسول الله ولم يبين من أهل بيته لادعاها آل فلان وآل فلان ، ولكن الله ﷻ نزل في كتابه تصديقا لنبيه ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ فكان علي

والحسن والحسين وفاطمة ، فأدخلهم رسول الله تحت الكساء في بيت أم سلمة ثم قال : اللهم إن لكل نبي أهلا وثقلا وهؤلاء أهل بيتي وثقلي .

فقالت : أم سلمة ألست من أهلك ؟

فقال : إنك إلى خير ولكن هؤلاء أهلي وثقلي .

فلما قبض رسول الله كان علي عليه السلام أولى الناس بالناس لكثرة ما بلغ فيه رسول الله وإقامة للناس وأخذ بيده حضر ، فلما مضى علي عليه السلام لم يكن يستطيع علي ولم يكن ليفعل أن يدخل محمد بن علي ولا العباس بن علي ولا أحدا من ولده إذا لقال الحسن والحسين عليهم السلام إن الله تبارك وتعالى أنزل فيك وأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك ، وبلغ فينا رسول الله كما بلغ فيك ، واذهب عنا الرجس كما أذهبه عنك ، فلما مضى علي كان الحسن أولى بها لكبره ، فلما توفي لم يستطيع أن يدخل ولده ولم يكن ليفعل ذلك ويقول الله عز وجل يقول ﴿ وأولو الأرحام

بعضهم في كتاب الله ﴾ فيجعلها في ولده إذا فقال الحسين : أمر الله تبارك وتعالى بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك ، وبلغ في رسول الله كما بلغ فيك وفي أبيك وأهب عني الرجس كما أذهب عنك وعن أبيك ، فلما صارت إلى الحسين لم يكن أحد من أهل بيته يستطيع أن يدعي عليه كما كان هو يدعي على أخيه وعلى أبيه لو أراد أن يصرفا الأمر عنه ولم يكن ليفعل ثم صارت حين إلى الحسين عليه السلام فجرى تأويل هذه الآية ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ ، ثم صارت من بعد الحسين لعلي بن الحسين ثم صارت من بعد علي بن الحسين إلى محمد بن علي .

وقال : الرجس هو الشك والله لا نشك في ربنا أبدا . هي [1]

(1) تفسير العياشي ج1 ص249

إياك أن تغفل عما في رواية ابن كثير من قوله عليه السلام في آخرها (فطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله) [1] مع قوله في حديث العيون (أ فضل بعد الطهارة ننتظر؟) يعني أنه ليست فضيلة فوق فضيلة الطهارة حتى ننتظر ، بل فضيلتها جامعة وحاوية للفضائل كلها بحيث لا يخرج شيء من أفرادها وأنواعها في الأقوال والأفعال والأحوال وغيرها من فضيلة الطهارة فمن ثم صارت طاعة الله في طاعتهم أو عين طاعتهم ، وكذلك معصيتهم وغيرها (من أطاعكم فقد أطاع الله ، ومن عصاكم فقد عصى الله ، ومن أحبكم فقد أحب الله ، ومن أبغضكم فقد أبغض الله ، ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله ، ومن جهلكم فقد جهل الله ، ومن تخلى عنكم فقد تخلى من

---

[1] الأمالي للشيخ الصدوق ص٦٤٠

الله) [١] ، وصار رضاهم رضا الله وسخطهم سخط الله وأسفهم أسف الله وغضبهم غضب الله .

فلو كان فيهم جهة نقص وفقدان كمال لما كانت طاعتهم في تلك الجهة طاعة الله وسبب رضاه كانت معصية الله ومعرضا لسخطه وانتقامه ، إذ كل نقص وفقدان يناقض الطهارة من ذلك النقص ويضاده وضد الطهارة رجس ، ومحبة الرجس وطاعة الله به ليست طاعة الله ولا محبته ، فلا تكون طاعتهم مطلقا طاعة الله إلا أن يكونوا طاهرين مطهرين مطلقا في جميع شؤناتهم ومقاماتهم من الجهات كلها وهذا إن شاء الله واضح ولا حاجة للتوقف .

وقد رأيت قريبا من أربعين حديثا من طرق الخاصة كلها متفقة في أن المراد من أهل البيت في الآية المعصومون الأربعة عشر ، ومن طريق العامة قريبا من خمسين في أصحاب الكساء الخمسة .

---

(١) الزيارة الجامعة الكبيرة .

نعم ورد في ذلك روايات صعبة على الأذهان ما يحتاج حلها إلى توضيح وبيان .

منها ما رواه في الكافي بسنده إلى محمد بن علي الحلي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى (﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ يعني الأئمة وولايتهم من دخل فيها في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم) [1] . وغيرها بهذا المعنى كثير يطلع عليه المتتبع الخبير .

ووجه الصعوبة والإشكال إذهاب الرجس بمعانيه عن كل من دخل في ولايتهم بقبوله إياها والتسليم بها ، فمن معانيه الذنوب صغيرة وكبيرة ، والشك والريب والسهو والنسيان والكثير من أهل ولايتهم أصحاب الكبائر فضلا عن الصغائر مبتلون بالشك والسهو والنسيان ، ولو في بعض الأحيان ، وقد روي أنه لا يخلو من النسيان أحد من أفراد

---

[1] الكافي ج١ ص٤٢٣ ر٥٤

الإنسان غير معصوم عليه السلام، فكيف يدخل في آية التطهير من لا يفارق من الرجس ولو بعضا من معانيه السابقة قل أو كثر ؟

أقول ولا قوة إلا بالله : إن المقصود بالذات من الآية والمخصوص بالفضل واللطف والكرامة والتشريف من دون الخلق الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام، اختصهم لنفسه وعلاهم على جميع بريته وجعلهم صنائعه والخلق صنائع لهم .

وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام (نحن صنائع الله والخلق بعد صنائع لنا)[1] واطلع سبحانه إليهم عليهم السلام اطلاعه فما وجد فيهم في ظاهرهم وباطنهم وذواتهم وصفاتهم وأعراضهم وجميع نسبهم وإضافاتهم شيئا لأنفسهم أو لغيرهم من دون الله، بل رآهم في كل مالهم لله من دون أنفسهم ولا للخلق فجعلهم معانيه وأركان توحيده وأشهادا وأعضادا ومناة

---

[1] نهج البلاغة ج١١ ص١١٣

لخلقه ، واتخذهم بيوتا لنفسه ، ومحالا لولايته ومحبته ، وأوعية لمشيته ، فهم بيوت الله وأهولها التي قد أذن الله أن ترفع وبذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها في الغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وقد طهرها للطائفين والعاكفين والركع السجود ورفعها الله وبلغ بها أرفع درجات المقربين .

فكل رفيع بالغا ما بلغ دونها وضيع ، وكل شريف كائنا من كان عندها مطأطئ إذ لا يرى لديه رفعة وشرافة إلا ويراها عند رفعتهم وشرافتهم ضعه ودناءة ، ولديهم منها ما تنحط العقول دون إدراكها ، فضلا إن تحصيها ، وقصرت الأوهام والإفهام إن تنالها . فكيف أن تحيط بها ؟

فهم آل الله وخاصته وخالصته من دون خلقه ، فمن ثم عصمتهم وطهارتهم أعلى وأجل بما لا يتناهى من عصمة وطهارة وجدت في غيرهم ، وذلك الغير إن كان من أهل العصمة وهم الأنبياء والأوصياء

فطهارته من جهة دخوله في ولايتهم عليهم السلام التي هي بيتهم الذي هو كهف الورى من دخله كان آمنا من الشك والخطأ والزلل وسائر الأرجاس والأخباث .

ولما كان الأنبياء والأوصياء لم تكن لهم عصمة وولاية إلا بالإقرار بولاية علي وآله عليهم السلام والتمسك بحبلهم وعروة محبتهم فبذلك دخلوا بيت ولاية الله وحصنه دون غيره (ولاية علي بن أبي طالب حصني من دخل حصني أمن من عذابي) [1] فليست لهم طهارته وشرافة إلا بدخول بيت ولايتهم وحصن محبتهم ، فطهارة الأئمة عليهم السلام وعصمتهم بالله ومنه دون غيره من الخلق وطهارة الأنبياء والأوصياء بهم ومنهم وتبعيتهم ، وإنهم كانوا يطابقون مع الأئمة عليهم السلام في جميع جهات التبعية فيعرفون تبعا بتعريف الله لهم ، ويعربون

---

[1] عيون أخبار الرضا ج٢ ص١٣٦

ويتأثرون بإعرابهم بفعل الله ويتطهرون من حيث أنهم صفاتهم وإبدالهم الجزئية الحاملة لشؤون ولايتهم وخلفائهم القائلون بقولهم العاملون بإرادتهم .

ثم لما كان كل من الأنبياء قابلا لولايتهم ، وداخلا بها بجميع مراتبهم الظاهرة والباطنة في الغيب والشهادة ذاتا وصفة قولا وفعلا وخلقا ومعرفة ، مقبلا إليهم في امتثال مراداتهم وتحصيل مرضاتهم الذي هو تحصيل مرضات الله وامتثال أوامره أتم إقبال بأشد سعي واهتمام كل على حسبه ، كان طاهرا ومطهرا من جميع الأرجاس والأخباث والأدناس في مراتبه كلها .

نعم قد صدر عن بعضهم ترك ما هو الأولى والأرجح ، وذلك لا يخرجه عن حد العصمة ومرتبة النبوة الخاصة ، إذ ما كان هذا إلا في مقام إعراضهم ونسبهم المتعلقة إلى الرعية ، إما في ذواتهم وشؤناتهم في أنفسهم قد طهرهم الله وعصمهم ، فهم مبرؤون منزهون لا يتطرقهم فتور ولا نقص لا في فعل ولا ترك

كيف وحقايقهم لو قسم نور واحد منـــهم علـى جميـع أهل الأرض لكفاهم وأغناهم وإن كان الغير الداخـل في بيتهم عليــهم الســلام بقبـول ولايتــهم مـن ســائر الخلق دون الأنبياء ، فإنما الأشــكال فيـه مـن حيـث أن فيهم من يقترف السيئات ، ويرتكب الكبائر الموبقـات ، فكيف يكون من أهل البيت الذين أذهب الله عنــهم الأرجاس وعموم الأدناس مما ذكر سابقا أولم يذكر ، بل لم يخطر ببال بشر إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين ؟

وحله : إن غـيرهم كونـه مـن البيـت إنمـا هـو بقبول ولايتهم والتولي بهم والتبري من أعدائهم ، ولا يدخل البيت إلا بذلك ، ولا أظنك أن تشك إن الناس تتفاوت فيه تفاوتا بينا ويختلف اختلافا فلحشا ، ويجمـع الكل إنهم طـاهرون في الميـلاد وهـو أول النعـم لمـن أحبـهم ووالاهـم كمـا ورد وروي متظــافرا أنـــه (لا يبغضهم إلا ثلاثة ، ولد زنى وولد حيض ومـن طعـن

في عجانته ، وأنه لا يحبنا إلا من طابت ولادته وإنه لا يحبنا إلا أهل البيوت وأشراف القوم) وأمثالها كثيرة .

فخبث الولادة رجس أذهبه الله عن محبي أهل البيت عليهم السلام وهذا أدنى ما أنعم الله به على شيعتهم وأولها ، ولا يكون أحد وليا لهم إلا به ، وكذلك رجس الكفر والشرك والنفاق ، فمن أحبهم ودان بولايتهم فأولئك مبرؤون عن رجس الكفر بالله وبرسوله وبأوليائه وبآياته كفر وجحود وإنكار براءة ، وكفر أمر وهو قوله تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [1] وقوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار ﴾ [2] وقوله ﴿ أ فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [3] وقوله ﴿ كفرنا بكم وبدا

---

(1) سورة إبراهيم آية ٧

(2) سورة إبراهيم آية٢٨-٢٩

(3) سورة البقرة آية ٨٥

بيننا وبينكم العداوة ﴾ [1] وعن رجس الشرك شـــرك العبادة .

فإن من عبد الله وهو موالي لعلـــي آلـه عليـهم السلام قائلا بإمامتهم ، وجاهدا لكل وليجـة سـواهم فقـد عبـد الله ووحـده ، ومـن والى غـيرهم معـــهم أو بدونهم فقد قال بإله جعل ذلك الغـــير وليـا وشـاهدا وعضدا فهو غير الله سبحانه ، إذ قال عز من قال ﴿ مـا أشهدتم خلق الســموات والأرض ولا خلـق أنفســهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ [2] ويشير إلى هــذا ما رواه العياشي في تفسيره عن أبي بصير قــال سمعـت أبا عبدالله عليه السلام يقول (ولا تتخذوا إلهين اثنين إنما هــو إله واحد) [3] .

يعني بذلك لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد ، وما في كنز الفوائد مســندا إلى أبـي عبـدالله عليه السلام في

---

[1] سورة الممتحنة آية ٤

[2] سورة الكهف آية ٥١

[3] الخصال ٥٩٩

قوله تعالى (﴿ أ اله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد) . هي [1] ، ونظائرهما من الأخبار الدالة صريحا على أن الآيات القرآنية التي خوطب وأريد بها الكفار بالربوبية والمشركون فيها تفسير إنما يراد بها في التأويل والباطن الكافرون بالولاية لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام والمشركون فيها ، وذلك غير خفي عند الممارس الماهر ، ويشهد بذلك ما رواه الصدوق رضي الله عنه في أماليه مسندا إلى معروف بن خربوذ المكي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد الغاري قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله (**يا حذيفة إن حجة الله عليكم بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام الكفر به كفر بالله ، والشرك به شرك بالله ، والشك فيه شك في الله والإلحاد فيه الحاد في الله ، والإنكار له إنكار لله ، والإيمان به إيمان بالله ، لأنه أخو رسول الله**

[1] تأويل الآيات ص ٣٩٧

ووصيه وإمام أمته ومولاهم . وهو حبل الله المتين ، وعروته الوثقى التي لا انفصام لها ، وسيهلك فيه اثنان ولا ذنب له ، محب غال ، ومقصر قال ، يا حذيفة لا تفارقن عليا فتفارقني ، ولا تخالفن عليا فتخالفني إن عليا مني وأنا منه ، من أسخطه فقد أسخطني ومن أرضاه فقد أرضاني) . هي [1]

وهكذا رجس النفاس إنما هو نصيب من لم يؤمن بأهل البيت عليهم السلام ، بل يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم خوفا أو طمعا ويعرفون بسيماهم من الانقباض والاشمئزاز عند ذكرهم بما أتاهم الله من الفضل والكرامة أو تعرفون في لحن القول بقولهم أيكم زادته هذه إيمانا ، أو قولهم (قلوبنا غلف) [2] يعني لا نفهم ما قلتم ، أو (قلوبنا في أكنة لا تتأثر بما تقولون ولا تقبل) ، وغيرها من كلماتهم

---

[1] الأمالي للشيخ الصدوق ص١٩٧

[2] تصحيح الاعتقاد ص١٢٤

الكاشفة عما في قلوبهم من الأمراض والأغراض ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ﴾ [١] .

وأما الذين آمنوا بهم ودخلوا في بيت ولايتهم بالتسليم لهم والرد إليهم ، إذا تليت عليهم آيات الله وما آتيهم من كرامته وفضله زادتهم إيمانا فإذا هم يستبشرون ، وذلك هو المعيار وعليه المدار في تمييز الفريقين ، وفي ذلك مضافا إلى نص الكتاب روايات في البين لا تحصى .

وأما رجس اللغة والعذاب اللازمين لما مر من معانيه من الكفر والنفاق والشرك فقد أذهبا ودفعا بإذهاب ملزوماتهما وأسبابهما وهو قوله تعالى ﴿ ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾ [٢] وقوله عز من قائل ﴿ كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون * وهذا صراط ربك مستقيما ﴾ [٣] .

---

[١] سورة البقرة آية ١٠

[٢] سورة يونس آية ١٠٠

[٣] سورة الأنعام آية ١٢٥-١٢٦

ومعلوم أن شيعتهم ومحبيهم هم المؤمنـون دون غيرهم وهم أولو الألباب أرباب العيون الأربع الظاهرتين والباطنتين الذين فيهم قال سبحانه ﴿ أن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ [1] ، وقال ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ [2] وقال ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ﴾ [3] .

والذي تراه في شيعتهم ومحبيهم من الابتلاء في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وما يعنيهم أمره إنما هو بلاء حسن وتمحيص وتخليص من الكثافات والكدورات العارضة لهم بما كسبت أيديهم (البلاء للولاء كاللهب للذهب) ليكونوا يوم لقائهم ربهم طاهرين مطهرين مما اقترفوه من الذنوب والسيئات .

وليس ذلك بعذاب إذ العذاب هو الخزي في الحياة الدنيا وعذاب الآخرة أشد وأخزى .

---

[1] سورة الأعراف آية ٥٦

[2] سورة الأحزاب ٤٣

[3] سورة الأعراف آية ١٥٦

وأما رجس الشك في الله كما مر في الحديث السابق (إن الرجس هو الشك فإنا لا نشك في ربنا أبدا) [1] وفي بعض غيره مثله ، فتخصيصه بالذكر في بعض مع المراد هو العموم كما هو تصريح كثير من الأخبار ، إنما هو لكونه كثير الابتلاء لأكثر الناس ، بل لا يخلو غير الأنبياء والأوصياء إلا أوحدي من الرعية إذ أقل شيء قسم بين العباد اليقين لا سيما إذا اعتبر الدوام والاستمرار بحيث لا يخطر بباله توقف ولا شك في دينه أبدا .

وهذا صفة المؤمن الخالص الذي هو أعز من الكبريت الأحمر ، ولأن من سلم من الشك في ربه فقد سلم من سائر معاني الرجس كله أو جله ، وليس عكسه كذلك كأكثر أفراد الرعية والاوحدي من الناس السالم من الشك أقل قليل أحاد الناس في الأعصار ، كسلمان وأبي ذر والمقداد ونظائرهم في كل دهر وذلك

---

[1] بصائر الدرجات ص٢٠٦

مـا رواه العياشـي عـن الفضيـل بـن يسـار عـن أبي جعفر عليه السلام :

قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قبض صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة علي والمقداد وسلمان وأبو ذر .

فقلت : فعمار ؟

فقال : إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة [1] .

وما رواه الكشي معنعنا عن أبي بكر الحضرمي قال .

قال أبو جعفر عليه السلام : ارتد الناس إلا ثلاثة نفر ، سلمان وأبو ذر والمقداد .

قلت : فعمار ؟

---

(١) تفسير العياشي ج١ ص١٩٩

قال : وكان جـاض جيضـة ثـم رجـع فقـال : إن أردت الذي لم يشك ولم يدخله شيء فالمقداد . هي [1]

انظر إلى هذين الحديثين إذ خرج فيـهما عمـارا من الذين لم يشكوا في إمامهم فإذا لا يشكون في ربهـم وفي دينهـم فكيف بغيره وقد ذكر في بعض المقامات من خواص الشيعة ، وقال فيه النبي صلـى الله عليـه وآلـه (إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه) [2] .

فميله بمجرد اضطرابه في القلب وتردده مرة من غير أن يظهر منه شيء في الخارج إذا كان ينحط مقامـه ومنزلته عن درجة القرب والإخلاص ، فكيـف يصـير شأن من تردد في ريهة في أكثر آناته ويضطرب في جـل حركاته وسكناته .

فالرجل دخولـه في ولايـة أهـل البيـت عليـهم السلام وكونه من أهله بمقدار خلوه من الشك والتردد

---

(١) الاختصاص ج١ ص١٩٩

(٢)البحار ج٩ ص٣٥ ب٦

، فكلما كان في الصدق ظاهرا وباطنا ثابت القدم ، وفي يقينه في دينه أشد وأدوم ، كان دخوله في أهل البيت وكونه منهم أريد وأكمل وأتم ، إلى أن يصير حبه من كل جهة حبهم وبغضه من أي نحو بغضهم ، إذ لا تكاد ترى فيه شيئا وشأنا غير تبعيتهم ومعاداة أعدائهم من قول وفعل وعمل وخلق ومعرفة ، ولا بأس أن نذكر نبذا من الأخبار إثباتا لذلك ، وتوضيحا للمسالك للسالك .

منها ما روي بطريق العامة عن أبي بريلة عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم (إن الله تعالى أمرني أن أحب أربعة من أصحابي أخبرني أنه يحبهم .

قال : فقلنا من هم يا رسول الله ؟

قال : إن عليا منهم ، ثم قال مثل ذلك في اليوم الثالث .

فقال : من هم يا رسول الله ؟

فقال : أن عليا منهم وأبا ذر الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي وسلمان الفارسي رضي الله عنهم) . [1] ومثله معنى روايات منهم .

أفلا ترى رسول الله قد قارنهم رضي الله عنهم مع إمامهم علي بن أبي طالب عليه السلام في كونهم أحباء الله وأحباء رسوله وأمر الناس بحبهم كما أمرهم بحب أمامهم ، وليس هذا إلا لمتابعتهم إمامهم متابعة في القول والعمل والاعتقاد ، إذ لا يكون أحد حبيبا لله ورسوله إلا بذلك الاتباع ، وهو قوله ﷻ ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [2] .

يعني لا يكفي للرجل أن يحب الله فيصير ممن يحبه الله حتى يتبع رسوله في سنته ، ويتقرب إليه بنوافل ، شريعته في الأقوال وإلى ذلك يرشد ما في الحديث القدسي (لا زال العبد يتقرب إلي بالنوافل

---

[1] كشف الغمة ج١ ص١٠٥

[2] سورة آل عمران ٣١

حتى كنت أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) الحديث .

فذلك العبد هو الذي أمر الله بولايته ومحبته ، ونهى عن معاداته ومخالفته ، من عاداه فقد عادى أئمته ، إذ ليس فيه إلا تبعيتهم والتبري من أعدائهم ، ولا حيثية غيرها ، فمن أحب التابع فقد أحب المتبوع ، ومن خالفه وعاداه من تلك الحيثية فهو بريئي عن متبوعه وناصب معاند ، وهو قوله عليه السلام (الناصب من نصب العداوة لشيعتنا لأنهم يوالونا ويفارقون من عادانا) .

وأما رجس المعاصي والسيئات ، واقتراف الذنوب والخطيات فهذه لا تنشأ عن شيعتهم ومحبيهم إلا من جهة اللطخ والتلوث من مخالطة أعدائهم ومجالستهم في المنازل الباطنة والظاهرة والمواقف الغيبية والشهودية ، فصدورها عنهم اعتباري نسبي لا

ذاتي ، لأن ذواتهم وطينتهم خلقت من عليين ، كتاب الأبرار ، من فاضل طينة أئمتهم عليهم السلام .

فمن ذلك تراهم يقبلون أوامرهم ويتحملون أسرارهم كل بحسبه ، ويستبشرون بذكر فضائلهم ويحزنون لحزنهم ، ويفرحون لفرحهم ، وترى أفئدتهم تهوي إليهم ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ﴾ [١] وقلوبهم تحن إليهم من دون الناس ، ولا تميل إلى غيرهم حتى تتأثر وتتلطخ من فروعه ورجسه ، بل قلوبهم معصومة مطهرة لا تعصي الله أبدا .

بل إنما تصدر المعصية منهم ، إما من جهة نفوسهم المتأثرة من مجالسة أهل الكفر والشرك والنفاق واتباعهم ومجاورتهم تأثرا عرضيا كتلوث الثياب بالوسخ والدرن ، وتلطخ البدن والثوب بالتراب وغيره من سائر الكثافات والألوان والأعراض ، أو كالمرآة الصافية زجاجتها المتكدرة من

---

[١] سورة إبراهيم آية ٣٧

خارج ، أو من جهة ظاهرهم المنفعل من مجالسة أبناء جنسه من المخالفين المعاندين ، أو العاصين العادين أو المقصرين الكسلين القاعدين ، انفعالا عرضيا تبعيا ، بحيث كلما ركب أمرا من أخلاقهم الفضيعة وفعالهم الشنيعة اشمأز قلبه وتنفر لبه ولا يعجبه كسبه وشغله حين ارتكابه وبعد فراغه يندم ، وكلما ذكره يتوجع ويتألم ، وذلك علامة أنه بالعرض ولو استمر على حاله ، وأصر على منواله ، إلى أن آل بحيث لا يتألم بقبيح فعاله وأحواله ، ولا يتأثر حتى ينزجر ويستغفر ، فذلك علامة سوء الخاتمة وأنه طبع الله على ذلك القلب وختمه ، نستجير بالله من ذلك وأسأله أن يسلك بنا خير المسالك ويختمنا به .

وأما أهل الشقاق ، وأرباب الكفر والشرك والنفاق مع أئمة الصدق والوفاق ، مثلهم كالمرآة المتلوثة المعوجة ذاتا ، شأنه الباطن والكذب والشقاق ، وقولهم تردد وريبة وفتنة فهم في ريبهم يترددون لا

يميلون إلى الصدق والحق والخير أبـــدا إلا في ظـاهرهم تمام للحجـة يقولـون بأفواهـهم مـا ليس في قلوبـهم وقلوبهم له منكرة وهم مستكبرون ولا يــزال بنيانــهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم.

وما يصدر من ظاهرهم من الخير صــورة ليس إلا من مخالطة المؤمنين، أهل الحق واليقين ومجاورتــهم ومجالستهم في غيب منازلهم وشهودها، فما تجـد فيـهم من خير فمن تأثير شيعة ولاة الأمر عليهم السلام فإنه في شيعتهم ومحبيهم أصل كشجرة طيبـة أصلـها ثـابت وفرعها في السماء، وفي مخاليفهم عرض.

ومـا تـرى في أهــل الولايـة مـن رجس وشــر ومعصية فهو من مخاليفهم ممن هو خارج عــن الولايـة بعكس الخير حرفا بحرف، وهنا يعلم معنــى مـا سمعتـه من الأخبار إن الله يرد طاعــات أعـداء أهـل العصمـة عليهم السلام إلى أوليائهم، ويــرد معـاصي أوليائــهم إلى أعدائهم إذ كل شيء يرجع إلى أصله، والأعــراض

تبقى في محله ، ما دام باقيا في معروضيتــه ، فـإذا زالــت
فإن كــانت إنمـا عرضــت ونسـبت في جسـله خاصـة ،
فذلك محله الدنيا ، فإذا انتقلت منها انقطعت النسبة ،
والعرض لا بد له من محل يقوم بــه فـيرجع إلى أصلـه
وإن كانت ناشئة من نفسه ومنسـوبة إليـها كـالأخلاق
الذميمة في بعض الشيعة ، فهذه عالمها الـبرزخ ، فتتـألم
النفس بها وتعــذب مـا دامـت النسـبة باقيـة بحسـب
عروضها وتأثيرهـا قلـة وكـثرة ، وضعفـا وشـلة ، وإذا
انقطع قدر تأثيرها ومدتــه ، أمـا في أوائـل الـبرزخ أو
أواسطه أو أواخره على حسب مراتب تأثيرها ، زالت
النسبة فارتفع عذابها ، وكذلك الطاعـات في الأعـادي
حرفا بحرف ، فلأجل ذلك ترى أن محبيــهم عذابـهم لا
يدوم بل ينقطع ، إما في الدنيا قبل الموت أو معه أبعله
قبل أن يدفن ، فيلقى ربـه في الـبرزخ والآخـرة طـاهرا
مطهرا ، أو في البرزخ أوله أو وسـطه أو أواخـره ، ثـم
يجيء يوم القيامة فرحا مستبشرا لطيفا آمنا ﴿ لا يحزنهم

الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة ﴾ [١] ، ﴿ سلام عليكم طبتم فأدخلوها خالدين ﴾ [٢] فخلودهم في الجنة الذي منشأه الخيرات في الأعمال الصالحة التي أصلها التوحيد والإقرار والإذعان بالرسالة والولاية .

دليل على أنها ذاتية لهم تنشأ من ذاتهم وحقيقتهم في كل مقام فلذلك تبقى ثمراتها وجزائها ببقاء ذاتهم بقاء لا فناء له أبدا .

وكذلك خلود المنافقين وإخوانهم علامة بأن الشرور وأفعالهم القبيحة وأخلاقهم الوقيحة ، وعقائدهم الغير صحيحة ، ذاتية فيهم وأصل نشأ من ذاتهم ، لا من المخالطة والعرض ، فمن هذا ترى جزائهم من النار وأهوالها دائمة باقية بدوام ذاتهم بقاء لا ينقطع ولا ينفذ ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ [٣] .

---

[١] سورة الأنبياء آية ١٠٣

[٢] سورة الزمر آية ٧٣

[٣] سورة النساء آية ٥٦

قد ظهر من ذلك إن الله سبحانه وعد أوليائهم عليهم السلام أن يذهب عنهم الأرجاس بولايتهم ويطهرهم عن الأدناس ، إما في الدنيا أو في البرزخ أو القيامة ووعدهم وعد الحق ولن يخلف الله وعده إن الله لا يخلف الميعاد .

ويشهد على ما ذكرنا روايات ، أحببت إيراد بعض منها لما فيها من البشارة لأهلها :

منها ما رواه الشيخ في أماليه مسندا عن الحسين بن مصعب قال سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول (من أحبنا لله وأحب محبينا لا لغرض دنيا يصيبه منه وعادى عدونا لا لاحنة كانت بينه وبينه ثم جاء يوم القيامة وعليه من الذنوب مثل رمل عالج وزبد البحر غفرها الله تعالى له) [1] .

وفيه أيضا مسندا عن أحمد بن مهدي عن أبيه عن الرضا عليه السلام عم جده عن آبائه عليهم السلام قال ،

---

[1] إرشاد القلوب ٢٥٣

قال رسول صلى الله عليه وآله (حبنا أهل البيت يكفر الذنوب ويضاعف الحسنات وإن الله عن محبنا أهل البيت ما عليه من مظالم العباد إلا ما كان منهم فيها على أضرار و ظلم للمؤمنين ، فيقول للسيئات كوني حسنات) [1].

ومنها ما في آمالي الصدوق بإسناده إلى الحسن بن راشد عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمد عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله على منبره (إن الله ﷻ وهب لك حب المساكين والمستضعفين في الأرض فرضيت بهم إخوانا ورضوا بك إماما ، فطوبى لمن أحبك وصدق عليك ، وويل لمن أبغضك وكذب عليك ، يا علي أنت العالم لهذه الأمة من أحبك فاز ومن أبغضك هلك .

---

[1] تأويل الآيات ٣٨

يا علي أنا مدينة العلم وأنت بابها ، يا علي أهل مودتك كل أواب حفيظ وكل ذي طمر ، لو أقسم على الله لأبر قسمه ، يا علي إخوانك كل طاهر زاك زكي مجتهد يحب فيك ويبغض فيك محتقر عند الخلق عظيم المنزلة عند الله ﷻ ، يا علي محبوك جيران الله ﷻ في دار الفردوس لا يأسفون على ما خلفوا من الدنيا ، يا علي إني ولي لمن واليت وأنا عدو لمن عاديت ، يا علي من أحبك فقد أحبني ومن أبغضك فقد أبغضني ، يا علي إخوانك ذبل الشفاه تعرف الرهبانية في وجوههم ، يا علي إخوانك يفرحون في ثلاث مواطن ، عند خروج أنفسهم وأنا شاهدهم وأنت ، وعند المسائلة في قبورهم ، وعند العرض الأكبر الصراط ، إذ سئل خلق عن إيمانهم فلم يجيبوا .

يا علي حربك حربي وسلمك سلمي وحربي حرب الله ، ومن سالمك فقد سالمني ومن سالمني فقد سالم الله ﷻ ، يا علي بشر إخوانك فإن الله ﷻ قد رضي

عنهم إذ أرضاك لهم قائدا ورضوا بـك وليـا ، يـا علـي أنـت أمـير المؤمنـين وقـائد الغـز المحجلـين ، يـا علـي شيعتك المنتجبون ، ولولا أنــت وشـيعتك مـا قـام الله ﷻ دين ، ولولا من في الأرض منكم لما أنزلت السماء قطرها ، يا علي لك كـنز في الجنـة وأنـت ذو قرنيـها ، وشيعتك تعرف بحزب الله ﷻ ، يا علي أنت وشـيعتك القائمون بالقسط خيرة الله من خلقه ، يا علي أنـا أول من ينفض التراب عن رأسـه وأنـت معـي ثـم سـائر الخلق ، يا علي أنت وشيعتك علـى الحـوض تسـقون من أحببتم وتمنعون من كرههم ، وأنتـم الآمنـون يـوم الفزع الأكبر في ظل العرش تفزع الناس ولا تفزعـون ويحزن الناس ولا تحزنون فيكم نزلت هذه الآيـة ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنـها مبعـدون ﴾ وفيكم نزلت ﴿ لا يحزنــهم الفـزع الأكـبر وتتلقـاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعـدون ﴾ ، يـا علـي

أنت وشيعتك تطلبون في الموقف وأنتم في الجنان تنعمون .

يا علي إن الملائكة والخزان يشتاقون إليكم وإن حملة العرش والملائكة المقربين ليخصونكم بالدعاء ويسألون لحبيكم ويفرحون بمن قدم عليهم منكم كما يفرح الأهل بالغائب القادم بعد طول الغيبة .

يا علي شيعتك الذين يخافون الله في السر وينصحونه في العلانية .

يا علي شيعتك الذين يتنافسون في الدرجات لأنهم يلقون الله ﷻ وما عليهم من ذنب .

يا علي أعمال شيعتك ستعرض علي في كل جمعة فأفرح بصالح ما بلغني من أعمالهم وأستغفر لسيئاتهم .

يا علي ذكرك الله في التوراة وذكر شيعتك قبل أن يخلقوا بكل خير ، وكذلك في الإنجيل فسل أهل الإنجيل وأهل الكتاب عن الياء يخبرونك مع علمك

بالتوراة والإنجيل وما أعطاك الله عز وجل من علم الكتاب وأن أهل الإنجيل ليتعاظمون (الياء) وما يعرفونه وما يعرفون شيعته وإنما يعرفونهم بما يجدونهم في كتبهم .

يا علي إن أصحابك ذكرهم في السماء أكبر وأعظم من ذكر أهل الأرض لهم بالخبر ، فليفرحوا بذلك وليزدادوا اجتهادا إن أرواح شيعتك لتصعد إلى السماء في رقادهم ووفاتهم ، فتنظر الملائكة كما تنظر الناس إلى الهلال شوقا إليهم ، ولما يرون من منزلتهم عند الله ﷻ .

يا علي قل لأصحابك العارفين بك يتنزهون عن الأعمال التي يقارفها عدوهم ، فما من يوم وليلة إلا ورحمة من الله تبارك وتعالى تغشاهم فاليجتبوا الدنس .

يا علي أشد غضب الله ﷻ على من قلاهم وبرأ منك ومنهم واستبدل بك وبهم ومال إلى عدوك

وتركك وشيعتك واختار الضلال ونصب الحرب لـك ولشيعتك وأبغضنا أهـل البيـت وأبغـض مـن والاك ونصرك واختارك وبذل مهجته وماله فينا.

يا علي اقرأهم مني السلام مـن لم أر منـهم ولم يرني، وأعلمهم أنهم إخواني الذيـن أشتاق إليـهم، فليلقـوا علمـي إلى مـن يبلـغ القـرون مـن بعـدي، وليتمسكوا بحبـل الله وليعتصمـوا بـه وليجتـهدوا في العمـل فإنـا لـن نخرجـهم مـن هـدى إلى ضلالـة، وأخبرهـم أن الله ﷻ عنـهم راض، وأنـه يبـاهي بكـم ملائكتـه وينظـر إليـهم في كـل جمعـة برحمتـه، ويـأمر الملائكة أن يستغفروا لهم.

يا علي لا ترغـب عـن نصـرة قـوم يبلغـهم أو يسمعون إني أحبك فأحبوك لحـبي إيـاك ودانـوا الله ﷻ بذلك وأعطوك صفو المودة في قلوبهم واختاروك علـى الآباء والأخوة والأولاد وسـلكوا طريقـك وقـد حملـوا على المكاره فينا، فأبوا إلا نصرنا وبذل المهج فينـا مـع

الأذى وسوء القول وما تقاسونه من مضاضة ذلك فكن بهم رحيما واقنع بهم فإن الله تبارك وتعالى اختارهم بعلمه لنا من بين الخلق وخلقهم من طينتنا واستودعهم سرنا وألزمهم قلوبهم معرفة حقنا وشرح صدورهم ، وجعلهم متمسكين بحبلنا لا يؤثرون علينا من خالفنا مع ما يزول من الدنيا عنهم أيدهم الله ، وسلك بهم طريق الهدى واعتصموا به والناس في غمة الضلالة متحيرون في الأهواء عموا عن الحجة وما جاء من عند الله ﷻ ، فهم يصبحون ويمسون في سخط الله وشيعتك على منهاج الحق والاستقامة لا يستأنسون إلى من خالفهم وليست الدنيا منهم وليسوا منها أولئك مصابيح الدجى ، أولئك مصابيح الدجى ، أولئك مصابيح الدجى . [1]

ومنها ما في كتاب (تحفة الإخوان) نقل عن كتاب (بشارة المصطفى لشيعة علي المرتضى) بحذف

[1] الأمالي للشيخ الصدوق ٥٦٣

الإسناد قال دخل رسول الله على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فرحا مسرورا مستبشــرا فسـلم عليـه فرد عليه السلام .

فقال عليه السلام : يا رسول الله ما رأيتك مثل هذا اليوم ؟

فقال : حبيبي وقرة عيني أتيتك أبشرك ، اعلم أن في هذه الساعة نزل علي جبرائيل الأمين وقال : الحق جل جلاله يقرئك السلام ويقول لك بشر عليا عليه السلام ، إن شيعته الطائع والعاصي من أهل الجنة . فلما سمع مقالته خر ساجدا ، فلما رفع رأسه رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اشهدوا علي إني قد وهبت لشيعتي نصف حسناتي .

فقالت فاطمة الزهراء عليها السلام : يا رب العالمين اشهد علي بأني وهبت لشيعة علي بن أبي طالب نصف حسناتي .

قال الحسن عليه السلام : يا رب اشهد علي إني قد وهبت لشيعة علي بن أبي طالب نصف حسناتي .

قال الحسين عليه السلام : يا رب اشهد إني وهبت لشيعة علي بن أبي طالب نصف حسناتي .

فقال النبي صلى الله عليه وآله ما أنتم بأكرم مني إشهد علي يا رب إني قد وهبت لشيعة علي بن أبي طالب نصف حسناتي .

فهبط الأمين جبرائيل وقال : يا محمد إن الله تعالى يقول : ما أنتم أكرم مني إني غفرت لشيعة علي بن أبي طالب عليه السلام و محبيه ذنوبهم جميعا ولو كانت مثل زبد البحر ورمل البر وورق الشجر) . هي

والحاصل أن شيعتهم ومحبيهم لما كانت طينتهم طيبة إذ كانت من فاضل طينة أئمتهم عليهم السلام وطاهرة من كل رجس ودنس في رتبة التابعية الرعية ما كان فيها عيب شوب أصلا بل إنما طرأ عليهم في مراتب النزول والظهور كلها أو بعضا كثيرا أو قليل ، كثيفا أو لطيفا ، وكان الله بدأهم بقبولهم واختيارهم طيبين ، وسيعود بهم بلطفه وكرمه ورحمته طيبين ،

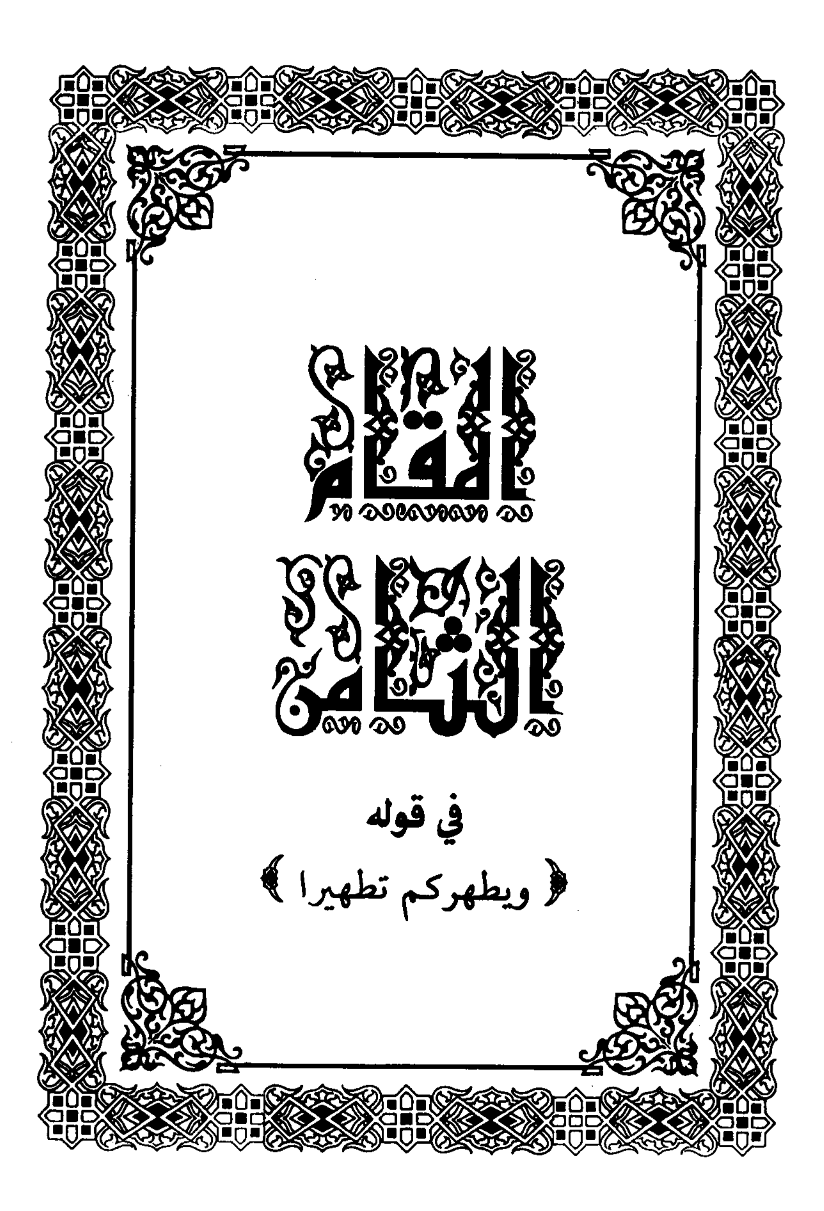
ويذهب عنهم الرجس الطارئ عليهم في كل مرتبة من مراتب النزول في مقابلها من مقامات الصعود، ويطهرهم تطهيرا ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ [1] وهذا معنى من معاني قوله ﷺ (حب علي حسنة لا يضر معها سيئة وبغض علي سيئة لا تنفع معها حسنة) [2].

---

[1] سورة الأعراف آية ٢٩

[2] نهج الحق ص٢٥٩




المقام
الثامن
في قوله
﴿ ويطهركم تطهيرا ﴾



الطهارة نقيض النجاسة ويستعمل في إزالة الخبث والوسخ ورفع الحدث ورفع الحدث الإصلاح كقوله تعالى ﴿ وثيابك فطهر ﴾ [1] أي أصلح عملك ، فإن العمل يستر سوءة المكلف ، وهو قوله تعالى ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾ [2] أو يكشف عورته كقوله قائل العرب :

ثوب الريا يشف عما تحته   فإذا التحفت به فإنك عار

أو بمعنى التقصير ، أو بمعنى لا تلبسها على الكبر ، فيكون على هذا محتملا أن يراد من الثياب القلب إذ الكبر من صفاته وهو قوله تعالى ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ [3] وقوله تعالى ﴿ إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه ﴾ [4]

---

[1] سورة المدثر آية ٤

[2] سورة الأعراف آية ٢٦

[3] سورة غافر آية ٣٥

[4] سورة غافر آية ٥٦

وكون الثياب بمعنى القلب مشهور بين العرب حتى قال شاعرهم

شككب بالرمح الأجم ثيابه ـ أي قلبه

وسلي ثيابي عن ثيابك تنسلي

أي قلبي عن قلبك فيكون الآية لا تكن متكبرا ، ويمكن أن يراد منها لا تكن غادرا ، إذ كان يقال للغادر " دنس الثياب " فيحتمل على هذا أيضا إرادة القلب منها ، إذ الغدر والحيلة من صفاته .

وإرادة الظاهر يعني تطهير الثياب من الأنجاس والأوساخ مما لا بأس به ولا شبهة تعتريه .

وقوله سبحانه ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** ﴾ [١] قيل المراد منها الطهارة من الذنوب ، والأكثر على أنها الطهارة من النجاسة كما ورد عنهما عليهما السلام أن نزولها في أهل قبا ، حيث

---

[١] سورة التوبة آية ١٠٨

كانوا يغسلون أثر الغائط فأثنى عليهم بعملهم ، ولا منافذة بينهما .

وقوله عز من قائل ﴿ أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾ [1] أي ينزهون أديانهم وأعراضهم عن أدبار الرجال والنساء تهكما وتمسخرا منهم بآل لوط .

وقوله سبحانه ﴿ ولا تقربوهن حتى يطهرن ﴾ [2] بالتخفيف أي ينقبن ، وبالتشديد أي يغتسلن .

وقوله ﷻ ﴿ أزواج مطهرة ﴾ [3] أي من الدم والحدث صغيرا وكبيرا والدنس والدرن والنتن وسوء الخلق ، ومن مد نظرهن إلى غير أزواجهن ، ومن مس غير أزواجهن وغيرها مما تكره الطباع السليمة والهمم العالية .

---

(1) سورة النمل آية ٥٦

(2) سورة البقرة آية ٢٢٢

(2) سورة النساء آية ٥٧

وقوله تعالى ﴿ يتلو صحفا مطهرة ﴾ [1] أي عن أن يمسها إلا الملائكة المطهرون ، أو عن التغير والتحريف والتبديل والباطل أو عن درك غير المؤمن ، أو عن تأويل المبطلين ، يعني إذا احتملوا في آية منه باطلا أبطلته آية منه أخرى فلا يقدر أن يغير .

وقوله تعالى ﴿ من السماء ماء طهورا ﴾ [2] أي نظيفا يزيل الخبث والوسخ ويرفع الحدث الأكبر والأصغر .

وقوله تعالى ﴿ وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ [3] ويراد به الخمر الذي هو في الدنيا رجس من عمل الشيطان كأخواته المذكورة في الآية نجس ، إذ كان يصد عن ذكر الله وعن الصلاة ويوقع العداوة والبغضاء بينكم إذا اجتمعتم به ، وفي الآخرة طهور لا يصدع عنه شاربه ولا ينزف ، بل يصحو به صحوا لا

---

[1] سورة البينة آية ٢

[2] سورة الفرقان آية ٤٨

[3] سورة الإنسان آية ٢١

يكاد يوصف فيعرف بسببه مـا لم يكـن يعـرف ، ويجـد اجتماع إخوانه وأزواجه وولدانه في نفسه من الأنـس والائتلاف ما فوق الإدراك والوصف ، ويتصل بشـربه بمراتـب مـن العلـوم والمعـارف والتلـذذ بمناجـاة الله والانغماس في مراضيه ، يصغر عندها جميع لذات الجنة ويحصل له صحو بعد صحو ، ونشـاط وانبسـاط يكـاد يتصل به إلى الوجود المطلق ، ويخرج عن أنيته وجزئيته ، كل ذلك بعكس خمر الدنيا الموصل إلى ما يقابلها من النجاسات الخبيثة .

واعلم : أن قوله تعالى ﴿ ويطهركم ﴾ بعد قوله ﴿ ليذهب عنكم الرجس ﴾ تأكيد أريـد مـن الرجـس مطلق النقص من الخطأ والزلل والسهو والنسـيان في الكون والشرع في الجنان القول والعمل .

ومن الدنس في أنفسهم في قلوبهم من الشـك والريب والزيغ والميل إلى الـتردد بـين الحـق والبـاطل الناشئ عن فرض البـاطل ثـم الاحتمـال والتجويـز ،

ومن النفاق بإظهار الإسلام أو الإيمان وإبطـان الكفـر وهو أشد دنسا وأنجس من الكفر والشرك ، فمـن ثـم قدمـهم في قولـه تعـالى ﴿ إن الله جـامع المنـافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴾ [1] .

وقوله تعالى ﴿ ليعذب الله المنـافقين والمنافقـات والمشركين والمشركات ﴾ [2] الآية .

ومن وقـف القلـب في بعـض سـاعات الليـل والنهار ، وهو ينشأ من الغفلة عـن ذكـر الله ، أو مـن الذكر لغرض دنيوي أو أخروي أو من الاشتغال بمـا لا يعنيه وغيرها مما ليس لله ، فإن كان هذا الوقف عرضيـا من لطخ أهل الباطل .

فمن فضله سبحانه أن ينكت في قلبه بعد ذلك ما شاء من الإيمان إن شاء ، وإن كان ذاتيا فمن عدله أن ينكت فيه ما شاء من الكفر بعد ذلك إن شـاء ، ومـن

---

(1) سورة النساء آية ١٤٠

(2) سورة الأحزاب آية ٧٣

طبع القلوب وزينها ﴿ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [١] ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ [٢] ومن نكس القلوب ناكسوا رؤسهم عند ربهم ﴿ أ فمن يمشي مكبا على وجهه أهلى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم ﴾ [٣] وغيرها من دنس القلوب .

وأما الذي في النفس من الدنس فالجهل والغفلة والسهو وحديث النفس والوسوسة في الشرور الأمور المجتثة والموهومة والباطلة التي ليس لها قرار مثل : ما يفرض حدوث القديم تعالى وقدم الحادث وفسق الحادث وفسق الأنبياء وإنكار الضروريات وغير ذلك ، ومنشأه الغفلة عن ذكر الله وعدم الاشتغال بالطاعات ، والتكاسل عنها وطلب راحة النفس والتوسعة عليها وعلاج الوسوسة

---

[١] سورة المطففين آية ١٤

[٢] سورة النساء آية ١٥٥

[٣] سورة الملك آية ٢٢

الالتفات إلى ذكر الله وهذه هي النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم إلا بإذن الله.

وأما ما يعرض الجسم من الدنس فمباشرة الشهوات وترك استثقالها وطلب الراحات الذي في الجسم الذي هو محل الأعمال على اختلاف أحوالها.

ومنه ما يعرض في العبادات والأقوال والأحوال من الغفلات والمباهات والدعاوى وغيرها وكذلك الخطأ والزلل يكون في الاعتقاد كما يعتقد ما هو يخالف الواقع من وجود شيء معدوم، أو عدم موجود أو وقوع قول وفعل وحال وعمل ولم يقع لوعد وقوعه وقد وقع وذلك إما بعد الاعتقاد المطابق فأعتقد خلافه حسدا وتكبرا، وابتداء من دون الاعتقاد السابق، إما لعدم التوفيق أو التقصير في الطلب أو لاتباع الأهواء أو لعدم اعتناء.

ويكون في النسبة أو الإسناد أو قولا، كما إذا قال افعل ولم يقل بالله أو إنشاء الله فذلك خطأ قولا

فـإن لم يعلقـه بـإرادة الله في قلبـه فـهو خطـأ في الجنان أيضا .

ومن خطأ القول التكلم بخلاف رضـاء الله ولـو كان عن غفلة ونسيان وسهو ، وفي الأعمال كان يفعـل ما ليس مما أمر الله به على السنة أوليائه بـالحدود الـتي حدودها ، فإن كان عن علم فهو خطأ وذنب ، فإن جهل بالمخالفة ، فإما أن يكون لكونه مستقلا من غير تقليـد ولا اجتهاد فكما مـر ، أو لكونـه مقلـدا مـن لم يصـح تقليده ، أو لكونه مجتـهدا ظانـا بظـن لا يعتـبر شـرعا فكذلك فإن كان بظن معتبر شـرعا فـلا يصـدق عليـه الخطأ في الأحوال ، والزلل فيها كثير جدا يفوت بذكره كثير .

ومنه عدم الاستقامة والثبات فيما أمروا ترك ما نهى كما أمروا نهى ، وعدم الخـوف والخشـية في مقـام الرهبة ، وعدم الرجاء وحسن الظن في مقـام الرغبـة ، وعدم الاعتدال والقصد فيهما .

ومنه الالتفات إلى غير ما أمر بالمضي فيه ﴿ ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون ﴾[1].

ومنه استعمال فصول الكلام والطعام والأفكار والأنظار والحركات، وأمثالها من فضول الأشياء كلها.

ومنه التقصير في التبليغ والأداء، وفي احتذاء كلما جرى عليه نظام الإيجاد والوجود، وانتظام الموجود.

ومثله كلما ليس مراد الله سبحانه ولو بالعرض عند قصد وعلم أو بدونه.

فجميع ما يراد من الدنس والخطأ والزلل مما ذكر وما لم يذكر: وهو أكثر من أن يسطر، أو في بال أحد يخطر، إذ حسنات كل سافل سيئة عند عاليه، وهم عليهم السلام فوق كل عال فحسنات كل رتبة من الأنبياء فما دونهم من التوحيد فما تحته عندهم

---

[1] سورة الحجر آية ٦٥

ليست إلا كتوحيد النمل الصغار : تزعم أن لله زبانيتين عند الإنسان فإن ذلك عنده نقص وخطأ وذنب .

فكذلك حسنات جميع المراتب فضلا عن السيئات نقص عندهم ودنس وذنب قد أذهب الله ذلك عنهم ذلك كلها وطهرهم تطهيرا ، فيكون قوله ﷻ يطهركم تأكيدا وتشييدا لقوله ﴿ ليذهب عنكم الرجس ﴾ وفائدة التأكيد ستذكر إنشاء الله .

وإن أريد من الرجس في الآية بعض ما ذكر ، كما فهمه البعض لقصوره أو تقصيره من تصفح مظانه ، وتتبع معانيه في محاله ، الشاملة لما ذكر كله فيصير قوله تعالى ﴿ ويطهركم ﴾ تأسيسا يفيد طهارتهم ونزاهتهم عليهم السلام عن كل ما شذ عن الفقرة الأولى وما دخل تحتها من كل نقص وفقدان ، يمكن كماله ووجدانه في الإمكان بحيث لا يقدر أحد لمن يقول لو كان على غير ما كان أحسن وأكمل مما

كان وإلا لما كان دليلا على كمال الموجد الكامل إذ من الصنع يستدل على الصانع بقدر ما ظهر بصنعه فبالنقص في الصنع لا يظهر كمل الصانع .

فخلقهم الله بحقيقة ما هم أهله أكمل ما يكون في الإمكان ليكون آية كماله سبحانه ودليله ، وهم أهل ذلك لخاصتهم وخلتهم دون غيرهم لنقص قابليته وإلى هذا يشير ما في زيارة سيد الشهداء روحي له الفداء عليه وعلى جده وأبيه وأمه وأخيه وذريته وبنيه آلاف التحية والثناء (**أشهد أنك طهر طاهر مطهر من طهر طاهر مطهر**)[1] يعني أنه عليه السلام طهر بحقيقة الطهرية ليس فيه شوب غيرها وكلما وجدت فيه ، إما هو عليه السلام أو منه وله وهذا لا يكون إلا بقبوله واختياره فصار طاهرا .

ولا يوجد شيء في الأرض أرض القابلية ولا في السماء سماء الوجود إلا بسبعة بمشية وإرادة وقدر

---

[1] الفقيه ج٢ ص٥٨٧ ر٣١٩٧ ب٢ (زيارة أمير المؤمنين عليه السلام)

وقضاء وإذن وأجل وكتاب فيكون بتطهير الله سبحانه بقبوله واختياره مطهرا قائما دائما كل حين بتطهيره وهو السر في إيراد صيغته فعلا مستقبلا : يفيد التجدد متصلا سيالا اتصالا إمداديا ، وهو يستلزم اتصال الاستمداد وتجدده دائما باقيا .

وقوله عز من قائل ﴿ تطهيرا ﴾ مفعول مطلق لقوله ﴿ يطهركم ﴾ وتأكيد له دون أن يكون للنوع ، المفيد اختصاصه لنوع دون نوع ، ولا للمرة المفيدة للتطهير وقتا دون وقت ، بل تأكيد لما أفاده قوله ﴿ يطهركم ﴾ من التطهير المطلق من حيث الأنواع والأوقات في كل مرتبة من مراتبهم الذاتية ومقاماتهم الأصلية ، من حقايقهم وأفئدتهم وعقولهم وأرواحهم ونفوسهم وطبايعهم وموادهم وأمثالهم وأشباحهم وأجسامهم وأجسادهم ومن مقاماتهم الفعلية والظهورية ومراتبهم التبعية الأثرية من الأنبياء من حقايقهم إلى أجسادهم .

وكذلك في الإنسان الرعية فما تحته ، من الملك والجن المؤمن والحيوان الطاهر ، والنبات الطيب التراب الطيب .

إذ لو أن يكونوا مطهرين في مقامات أنفسهم ، وفيما ينسب إليهم في مراتب ظهوراتهم وآثارهم ، لما كان تطهير الله سبحانه مطلقا ، بل خاصا بشيء منهم دون شيء وبمرتبة دون أخرى فإذا لا يكون للتطهير المطلق منه سبحانه مطهر إذ غيرهم لا يصلح لذلك المقام أي كونه مظهرا مطلقا مع أنه فعله سبحانه في كتابه التدويني مطلق طبقا للكتاب التكويني وذلك إنهم عليهم السلام في العبودية بحيث لا يشذ ولا يخرج عنه جهة من جهات العبودية وحرف من حروفها فمن ثم صاروا مظاهر لمطلق الربوبية ، وهو قوله سبحانه (ما وسعني أرضي ولا سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن) [1] .

---

[1] البحار ج٥٨ ص٣٩ ر٦٦ ب٤

فقوله تعالى ﴿ تطهيرا ﴾ وهو مؤكد لقوله تعالى ﴿ ليطهركم ﴾ يشار به إلى مقامين :

المقام الأول : إن التطهير المطلق الذي لا يتحقق ولا يظهر إلا بالقابلية التامة الكاملة البالغة أعلى مراتب الكمال وغايتها خاص بهم عليهم السلام من دون سائر الخلق من الأنبياء فما دونهم ، إذ كانوا بلغ الله بهم أشرف مقامات المقربين ، وأرفع درجات المرسلين ، حيث لا يلحقه ولا يفوقه فائق ، ولا يسبقه سابق ، ولا يطمح في إدراكه طامع .

وكل من سواهم كائنا من كان قد سقط دون بلوغ أمد كمالهم ، لضعف قابليته صفاء وبهاء ، وقصور أهليته ، يستأهل للتطهير المطلق والكمال الحق بل ولا يحتمل ذلك كما سمعته في الأنبياء والمرسلين ، فكيف بغيرهم ؟ فلا يكون تطهيره إلا مقيدا بشأن دون شأن ، وجزئيا خاصا بوجه دون وجه .

نعم إن طهارة الأنبياء مطلقة بحسب رتبتهم وإن كانت تتفاوت بنسبة بعضهم إلى بعض ، من أولي العزم والرسل تفاوتا بينا ، وتلك الطهارة بإطلاقها ليست عند الأربعة عشر عليهم السلام (كالقطر في البحر والذرة في القفر) بل الأمر أعظم من ذلك وأعظم .

المقام الثاني : إن كل طهارة تجدها عند كل أحد في كل رتبة ، فهي لهم عليهم السلام ومنهم وبهم وإليهم وعنهم وهو قوله ﷺ (إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه) [1] أما كونها لهم إذ هي وكل كمال من فاضلهم وشعاعهم والفاضل والشعاع ملك لصاحبه ومنيره ومختص به فلذلك صار منهم ، إذ هو شعاعهم ، والشعاع بدؤه من إشراق المنير وإليه يعود وبه يقوم ، فظهر أنه بهم وإليهم .

---

(1) الزيارة الجامعة الكبيرة .

وأما كونه عنهم فلكونهم محال مشيئته سبحانه والسنة إرادته فصدور كل شيء من الذوات والصفات عن فعل الله بهم أو عنهم أوعية لمشية الله ، وهو قوله عليه السلام في الزيارة الجامعة الصغيرة (إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم الصادر عما فصل من أحكام العباد) .

فالطهارة والعصمة والكمال بجميع جهاتها وكافة شؤناتها وشعبها في الرتبة الأولى العليا مرتبة الأربعة عشر عليهم السلام مختصة بهم وموجودة فيهم ، إذ لم يجعل الله لأحد فيها نصيبا ، إذ يجعل لأحد غيرهم في رتبتهم شركا .

ثم خلق سبحانه من فاضل أنوارهم عليهم السلام أرواح الأنبياء عليهم السلام فبعث الله الأربعة عشر المعصومين إدلاء مبشرين منذرين داعين إلى الحق وإلى ولايتهم وكل خير ، فأجابوا داعي الحق وإلى ولايتهم وكل خير ، فأجابوا داعي الله وأطاعوه لما رأوه

أهلا للإجابة والإطاعة ، ووجدوه بالغا في كل شرف وكمال وطهارة وعصمة إلى أقصى الغاية ، ومنتهى النهاية ، ورأوا أنه لا سبيل إلى الطهارة وغيرها من أنواع الشرف والكمال إلا بتبعية الداعي وإجابة دعوته وإطاعة قوله وأمره ، وهو قوله تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ [1] فصارت عصمة كل شيء من الأنبياء وطهارته على قدر إجابته وحسب تبعيته وفضل بعضهم على بعض ، فمنهم من هو نبي لنفسه ، ومنهم لأهل قريته أو لبلده ، وجعل بعضهم صاحب الشريعة من أولي العزم وغيرهم .

وليس أحد منهم أهل الطهارة المطلقة ، والعصمة التامة الكاملة بالنسبة إلى هذه الرتبة على تفاوت مراتبهم ، إلا داعيهم الذي هو قطبهم ، وكلهم دائرته طائفون حوله ، ومتوجهون إليه ، وهو وجه الله

---

[1] سورة النساء آية ٦٤

بينهم الذي به وإليه يتوجه الأوليــاء ، فمـا في الدائـرة بجميع أجزائها مــن ذواتــها وصفاتــها فــهو بــه ومنــه ، والقطب في هذه الدائــرة واحـد وهــو الأربعــة عشـر عليهم السلام ، وقد كانت أرواحهم ونورهم وطينتهم واحدة وجميع الأنبيـاء عليـهم السـلام دائرتـه ومظـهر شئوناته وفيوضاته المحمولة عليه ، النازلة إليه من علته ، ليؤديه إلى أهل عالمه ورعيته ، إذ كان الله سبحانه إقامة في سائر عالمه في الأداء مقامه إذ كان لا تدركه الأبصـار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير .

ثم لما تنزل القطب مع دائرته إلى رتبة الإنســان بلباس أعلى ما يكون في هذه الرتبة وأشرف وألطف ، وهكذا دائرته كل جزء منها بحسبه فتعددت الأقطـاب ، فصار كل نبي قطبا لدائــرة دعوتـه ، وهـؤلاء الأقطـاب كلهم مرجعهم وملاذهم ، هو الذي كان قطبا في الرتبة السابقة ، فهو قطب الأقطاب وداعيـهم إلى الحـق وإلى

طريق مستقيم ، والأمر لهم يدعوا أممهم إليه وإلى ولايته .

فمن قبل ذلك منهم نجى وطهر وطاب بحسب قبوله ومن أعرض هلك وخبث وخاب بأعراضه ومخالفته عن أمر ربه على لسان نبيه ، وفضل الله أمة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله على سائر الأمم كفضله على سائر الأنبياء فكل واحد من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام منزه في كل موطن وموقف من منازل الغيب والشهادة عن كل ما ينافي العصمة والطهارة ويورث النقص وما لا يجوز أن يكون حجة من الله عليه ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة ﴾ [1] .

فلذلك يجب أن تكون الأصلاب المتنقل فيها شامخة من أن تنالها رائحة شوب النفاق والشرك والشقاق من لدن آدم عليه السلام إلى والده لا يكونون إلا

---

[1] سورة النساء آية ١٦٥

مؤمنين صالحين، نبيين أو غير نبيين، وأن تكون الأرحام المستودعة لأنوار المعصوم طاهرة مطهرة عن كل ما لا يليق ولا ينبغي لأذيال طهارتها، وهذا ضروري عند الشيعة، ويخص بهم مذهبا من دون العامة، ككون الأنبياء معصومين من الذنوب صغيرها وكبيرها قبل بعثهم نبيين وبعده مبرئين عن السهو والنسيان، ومنزهين عن خلط طينتهم بطينة غيرها غير طيبة وعن شوب التأثر والانفعال، بلطخ أهل الباطل والضلال، وكان غذائهم ورزقهم حلالا طيبا ظاهرا رباطنا من أول بدئه إلى أن صار غذاء لهم لا تصل إليه أيدي الظلم والشبهات وهو معنى قوله تعالى سبحانه ﴿ الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾[1].

فبدأ الأنبياء طيبين طاهرين حقيقة وطينة ونزلوا في مراتب الخزائن طاهرين منزهين، واستقروا

---

(1) سورة النور ٢٦

في مواطن ظهور أجسادهم وأشباههم ، في ظهور عالية وأصلاب شامخة ، وانتقلوا إلى مثلها أو خير منها ، حتى استودعوا في أرحام طيبة وبطون مطهرة وليس لهم فيها غذاء الأنور وحكمة ، وعلم ومعرفة ، ولا يشغلون فيها إلا بتحميد الله وذكره وتمجيله ، وولدوا طيبين طاهرين ، منظفين مختونـين ، ذاكريـن الله سـبحانه ، سـاجدين ، شاهدين بتوحيله وما أنزله من كتبه ورسله ، وعاشـوا طيبين بأرزاق طيبة عيشة راضية وماتوا مقدسـين ، ثـم يحيون يوم القيامة حياة طيبة سـالمين آمنـين ، وإلى ذلـك كله يشير قوله تعالى في حق يحيى (عليه السلام) ﴿ وسلام عليـه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ﴾ [1].

وقوله حكاية عـن عيسـى علـى نبينـا وآلـه و (عليه السلام) ﴿ والسلام علي يوم ولـدت ويـوم أمـوت ويـوم أبعث حيا ﴾ [2] وهكذا قوله تعالى ﴿ سلام على نوح

---

[1] سورة مريم آية ١٥

[2] سورة مريم آية ٣٣

في العالمين ﴾ [1] و ﴿ سلام على إبراهيم ﴾ [2] و ﴿ سلام على موسى وهارون ﴾ [3] وقوله ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ [4].

والحاصل أ ن الله سبحانه وتعالى سلمهم عليهم السلام وحفظهم من ما لهم وعليهم في كافة مراتبهم ومقاماتهم ، وعصمهم وطهرهم عن كل ما يشينهم ولا يليق بشأنهم على ما هم أهل له ، كل بحسبه من جهة قبوله ، وانفعاله في رتبة حقيقته فصارت طهارتهم وكمالهم مطلقة ، لا يختص بمقام من مقاماتهم دون مقام ولا تقيد برتبة دون أخرى ، فمن هذا سلم الله عليهم في كتابه المجيد مطلقا غير مقيد بل عاما ، حيث قال ﴿ يوم ولد ﴾ يعني من أول مراتب غيبه إلى حين ظهوره في عالم الشهادة ، ﴿ ويوم يموت ﴾

(١) سورة الصافات آية ٧٩

(٢) سورة الصافات آية١٠٩

(٣) سورة الصافات آية١٢٠

(٤) سورة الصافات آية١٨١

يعني من حين ولادته إلى انتقاله إلى عالم البرزخ ﴿ ويوم يبعث حيا ﴾ أي من وقت انتقاله إلى وقت بعثته وبعده ، لأن سلامته خاصة في الحالات الثلاثة لا قبلها ولا بعدها ، إذ هو محفوظ ومعصوم في جميع حالاته .

وكذلك غيره من الأنبياء عليهم السلام كل بحسب حاله ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ [١] .

وأما المؤمنون الذين لم يبلغوا درجة العصمة ، وانحط مقامهم عن رتبة النبوة ، في درجة التابعية ليسوا بهذه المهابة بحيث يلزمهم وجود جهات الكمال في جميع مراتبهم ، ولا يفقدون شرفا وشرطا من شرائط الكمال ، وهذا واضح لدى أولي الأبصار إذ لا يشترك في المؤمن أن يكون صلبه أبوه مؤمنا ، فكيف بالأصلاب ، كما قال سبحانه ﴿ يخرج الحي

---

[١] سورة البقرة آية ٢٨٥

من الميت ﴾[1] أي يخرج المؤمن من المنافق والكافر ، كما ورد في التفسير .

وكذلك لا يجب كونهم منزهين من الصغائر ولا من السهو والنسيان والخطأ ، وإن كانوا يتفاوتون فيها قلة وكثرة بحسب تفاوت إيمانهم قوة وضعفا .

وهكذا غذائهم في بطون أمهاتهم ليس إلا دم الحيض ما داموا فيها ، وأمهاتهم إن كن يتحرزون عن الأغذية المشتبه والمحرمة وآبائهم يقربوهن وهن حاملات بهم على ما هو مقرر في الشرع من آداب الجماع ، من كونه غير جنب متطهرا غير مختضب وأمثالها مما هو مذكور في محله ، فإن ذلك كله يؤثر في الولد ويوجب البعد عليه من قصد .

وكذا بعد ولادته يشب لبن الأم في الولد ويؤثر في طبعه وخلقه إن كان طيبا فطيب ، وإن كان خبيثا فخبيث ، ومثله تربية الأبوين والرفيق والجليس ، فإن

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٥

الأبوين يهودان المولود بعد ما في الفطرة ولد وينصرانه ويمجسانه .

والمجالسة مؤثرة والرفيق يصلح المرء ويفسد ، عليك بمرافقة الأبرار وصحبتهم ، وإياك ومرافقة الأشرار ، فإن المؤمن إن كان خلص من أكثر ما ذكر وما لم يذكر بعناية الله وفضله فلا ينجو من جميعها .

فإذا أراد أحد من أفراد الناس الدار الآخرة وسعي لها سعيها وهو مؤمن مقر بولاية أوليائه ، موال لهم ولأوليائهم ، مبغض لأعدائهم ومعاد لهم ، كتب الله على نفسه الرحمة فيه ليطهر عن الرذائل والأرجاس ويذهب عنه الذمائم والأدناس الطارئة عليه من عوارض المنازل ومخالطة أهلها ، المكتسبة من مجالسهم ودله على ما فيه طهارته وبه تزكيته وخلاصه وبسلوكه والعمل به نجاته ، وهو قوله تعالى ﴿ فمن

تبعني فإنه مني ﴾ [١] وقوله ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [٢].

فلا يزال العبد يتدرج في مدارج الاتباع بمجاهدته في رضا ربه بإقلاع عما يمنعه عن وصوله بعد إقلاع ، فكلما درجه من درجات القرب بفضله سبحانه ، أذهب الله عنه رجسا ودنسا وطهره عن كثافته وما يستلزم من البعد والنقص وهكذا إلى أن يصير إلى درجة كمال المحبة على حسب ما عليه من الرتبة فيكون ممن الله سبحانه أحبه ، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به ، لا يسمع إلا ما أحبه وبصره الذي يبصر به لا ينظر إلا ما فيه رضاه ولسانه الذي ينطق به لا يتكلم إلا ما أمر به ونهى عنه ويده التي يبطش بها لا يأخذ ولا يعطي ولا يقبض ولا يبسط إلا بأمر الله ، فيه يسمع وبه ينطق وبه يبطش ، إن سأله

---

[١] سورة إبراهيم آية ٣٦

[٢] سورة آل عمران آية٣١

أعطاه وإن سكت عنه ابتدأه ، ولا يكون ذلك إلا بتوفيق الله وتأييده ، يهديهم بهم سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم ويبلوهم بالشر والخير فتنة ، ويبلوهم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين .

وما كان الله ليذر المؤمنين على ما عليه الناس حتى يميز الخبيث من الطيب وكان الله يبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ، ليخرجهم من ظلمات الأدناس والأخباث العارضة عليهم ، وهم يمرون في خزائن نزولهم ومراتب شهودهم إلى نور الطهارة ، والكمال والسلامة ﴿ ولا يلقيها إلا الذين صبروا ولا يلقيها إلا ذو حظ عظيم ﴾ [1] .

ويبلى المؤمن بالشر في جسمه من المرض حتى يوقفه في حد الاضطرار واليأس : عما سوى الله ، ولا

---

(1) سورة فصلت آية ٣٥

يجد لنفسه شافيا ولا لمرضه معافيا ، ولا من ابتلائه منجيا غيره سبحانه فيدعوه مضطرا فيجله يجب دعائه ويكشف السوء عنه .

وتلك الحالة حالة الاضطرار مقام الاسم الأعظم من حالاته وهو قوله سبحانه ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ [١] وقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة (إلهي أغنني بتدبيري واختيارك لي عن اختياري ، وأوقفني على مراكز اضطراري) .

ثم يبلوه بالخير في بدنه من الصحة والعافية ، لئلا يهلكه الخوف بل ليتم رجائه ويردده بين والرجاء فتنة وتمحيصا له ، ليهرب عما يخافه ويطلب ما يرجوه .

وكذلك يبلوه في ماله يفقره ويغنيه ويقنيه وفي أولاده يهب من يشاء ذكورا ، ويهب من يشاء إناثا أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما ، وفي

---

[٢] سورة النمل آية ٦٢

نفســه يقبضــه ويبســطه ويفرحــه ويحزنــه وفي علمــــه وعبادته ، يفوت منه بعض الطاعات وهو يحبـها ويريـد العمل بل يدركه بعض الغفلات في بعــض الأوقـات وهو كاره لها ويفعل الله ذلك له بفضله ورحمتــه لـيرى نفسه مقصرا في طاعة ومضيعا لأوقاته ، فيكون بذلـك سالما من آفة العجب واستكثار العمل ، وهي من أشد الآفات وأضرها بحالة وقد ورد ما معنــاه (لـولا خـوفي للعبد مــن العجـب أن يهلكـه لألجأتـه إلى طـاعتي) ، وقوله عليه السلام (سيئة تسؤك خير من حسنة تعجبــك) وقوله عز من قائل ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد ﴾ [١] ، وقوله ﴿ ألم تر إلى الذيــن يزكون أنفسكم بل الله يزكي مــن يشـاء ﴾ [٢] وقـول الحسين عليه السلام في مناجاته يوم عرفة (إلهي كم من طاعـة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليـها عدلـك بـل أقالني منها فضلك) .

---

[١] سورة النور آية ٢١

[٢] سورة النساء آية ٤٩

فيتوجه المؤمن بعله إلى ربه نادما عن التقصير في طاعته منكسرا قلبه مما فاته في رقلة غفلته مستقيلا عما صدر عنه من عثرته مذعنا مقرا معترفا بخطيئته ويشتغل خالصا مخلصا في طاعته فيفوز فوزا عظيما .

وبالجملة لم يزل الله متفقدا عبده في السراء والضراء ، بالشدة والرخاء ، ومبتليه بالشر لئلا يأمن من مكر الله فإنه لا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرون ، وبالخير لكيلا يقنط من رحمة الله ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فتنة له وتخليصا عما يضره من الإفراط والتفريط ، وتعليما له ما يضره وما ينفعه بنور يقذفه في قلبه ، وهو نور العلم فيخرجه من ظلمات الجهل والوهم والوسوسة والشك والظن والريب والزيغ إلى نور العلم ، كلما يرفع لهم علما يضع لهم حلما ، لئلا يتجاوز عن حدود الله ويتعداها ، بل تستعمله في محله ، ويعمل به كما قرر له من العلوم

الحقيقية الدينية ، التي هي مقر النفس الناطقة القدسية ، ويتفكر في مفصوله وموصوله ، فيعرفها بتذكير الله له بالتأييدات العقلية ويؤيده بروح منه ، ويكتب في قلبه الإيمان ، ويثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فينشرح صدره فيرى الغيب ، وإنه من أين جاء وإلى أين صائر وفي أي شيء هو ، وينفتح قلبه فيتحمل البلاء وتهون عنه مصائب الدنيا وشدائدها ، فيتجافى عن دار الغرور منيبا إلى عالم النور ، وقد استمد للموت قبل حلول الفوت .

فإذا اطمأنت نفسه وتوقر واستقرت في فعل الخيرات وامتثال الطاعات ، وتحمل المصائب والهزائز رجعت إلى ربه راضية عنه فأرضاه بكل ما تقر به عينه ، فهناك ينجلي ضياء المعرفة في فؤاده وهي الحكمة ، ويهيج ريح المحبة ، ويستأنس في ظلال محبوبه في خلوة أنسه ، ويؤثره على ما سواه ويباشر أوامره ومراضيه ويجتب نواهيه ومساخطه .

فإذا قام في مجلس أنسه واستقام مع مباشرة أوامره واجتناب نواهيه ، فقد وصل إلى روح المناجاة والقرب يناجيه ربه سرا ويدنيه إلى حضرة قدسه ، ويدخله في لجة بحر أحديته ، بحيث يستغرق ذاته وحقيقته ، في بحار أنوار جماله بعد كشف سبحات جلاله ، استغراقا بلا إشارة ولا كيف ، وطمطمام بحر وحدانيته لا يرى إلا نوره ، ولا يسمع إلا صوته ، ولا يفعلون إلا به ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون فهناك يتشرفون بتشريف النزاهة النباهة ، يبعده ويطهره تطهيرا مطلقا عن كل ما لا يليق ولا يجري ، لما دخل في بيت ولاية أولياءه كما يحق وينبغي ، وصار ممن خوطب بقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ [1] أي في جميع جهاته وشعبه ﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ [2] أي في سبيل علي وولايته بحقايقكم

---

(1) سورة البقرة آية ٢٠٨

(2) سورة التوبة آية ٤١

وأفعالكم وآثاركم ومن أهل قوله ﷻ ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ (١) ينبههم ويهديهم سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور إذ صاروا من المحسنين ، وما على المحسنين من سبيل ، إذ ليس للشيطان عليهم سلطان ، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ، وهؤلاء من حزب الله ﴿ ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (٢) ومن جند الله ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ (٣) ومن أولياء الله ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (٤) فخذ ما أتيتك بقوة وكن من الشاكرين وكن به ضنينا ، وكم من خبايا في زوايا زويتنا وما بسطتها ، صونا لها ، وخوفا

---

(٢) سورة العنكبوت آية ٦٩

(٢) سورة المجادلة آية ٢٢

(٣) سورة الصافات آية ١٧٣

(٤) سورة يونس آية ٦٢

من فتنة لأهلها وجعلنا الله وإياك من الذين يسـمعون القول فيتبعون أحسنه .

قد تمت الرسالة المسماة (بالتطهيرية) على يد مؤلفها اليمنى الداثرة (أوتي كتابه بيمينه) في الليلة الخامس عشر من شهر الله المبارك من شـهور ، الست والسبعين بعد ألف ومائتين ، من السنين الماضية من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله الميامين ، ما دامت الليالي والسنين وكان الفراغ منها في محروسة دار السلطنة تبريز صانها الله بصونه العزيز عن الحادثات والتهزيز ، حامدا مستغفرا .



فهرس

الموضوع	الصفحة